روايات مصرية للجيب



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ الغريم ..

ارتفع صوت خطوات مسرعة ، تعبُر ممرًا خاصًا ، فى إدارة المخابرات المعروفة باسم (الموساد) ، وتحرَّك صاحبها بقامته المشوقة ، فى ثقة واعتداد ، حتى توقَّف أمام باب يحمل كلمات بحروف عبرية ، تقول : إن هذه الحجرة بالذات تخص مدير (الموساد) ، الذى لم يكد يسمع طرقات الشاب على باب حجرته ، حتى دعاه إلى الدخول بصوت يحمل لهفة واضحة ، ونهض من خلف مكتبه ليستقبله ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا (موشى) .. كيف حالك ؟

أجابه الشاب فى لهجة باردة :

ـ العقيد (موشى دزرائيل) فى خدمتك ياسيِّدى .

مطَّ مدير (الموساد) شفتيه فى ضيق ، وعاد ليجلس خلف مكتبه ، وهو يقول فى لهجة رسميَّة جافَّة :

ـ لدىَّ مهمَّة عاجلة لك يا (موشى) .

لم يتفوَّه (موشى) بلفظ واحد ، وإنما تألَّق الاهتمام واضحًا فى عينيه الزرقاوين ، فى حين ظلَّت ملامحه الوسيمة جامدة باردة ، فالتقط مدير (الموساد) ملفًا متوسط الحجم من فوق مكتبه ، وفتحه ليقرأ المدوَّن به ، وهو يقول دون أن يرفع عينيه إلى الشاب :

— (موشى حايم دزرائيل) .. مقدّم بجيش الدفاع سابقًا ، وعقيد بترقية استثنائية فى (الموساد) حاليًا .. حاصل على درجة الامتياز فى كل اختبارات الإدارة الخاصّة .. يحوز الحزام الأحمر فى رياضتى (الكاراتيه) و (الجودو) .. خبير فى قيادة السيارات والطائرات بكل أنواعها .. يجيد استخدام كل الأسلحة اليدوية ، بنسبة إصابة تبلغ المائة فى المائة .. ممتاز فى استعمال كل وسائل التخفّى والتنكّر ..

وتنهّد قبل أن يغلق الملفّ ، ويبتسم قائلًا :

— إنك الرجل المثالىّ لهذه المهمّة .

لم تشفّ ملامح الشاب عن أدنى درجات الاهتمام ، وهو يستمع إلى حديث مدير (الموساد) ، وإنما بدا على العكس ضجرًا ملولًا ، مما أثار حنق المدير ، فتخلّى عن ابتسامته ، وعاد إلى لهجته الرسمية الجافة ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويعقد كفّيه خلف ظهره ، قائلًا :

— أنت تعلم أننا نمدّ (هنريك إدوارد) ، صاحب شركة ومصانع (إدواردز) لصيد وتصدير الأسماك القطبية ، ببعض المعلومات ، ذات الدرجة المنخفضة فى السرّيّة ، منذ ما يقرب من عامين ، نظير مبلغ خرافىّ يدفعه سنويًّا عن طيب خاطر ..

ولقد كان الأمر يبدو مريحًا للطرفين ، حتى أرسل (هنريك) منذ ساعة ، يطالبنا بمزيد من المعلومات عن أخطر خصومنا .. ضابط المخابرات المصرى (أدهم صبرى) .

تألّق بريق وحشىّ فى عينى الشاب ، فوْر سماعه لاسم (أدهم) ، وإن ظلّ على جموده وبروده ، تاركًا مدير (الموساد) يستطرد قائلًا :

— لقد أثار هذا المطلب قلقنا وشكوكنا بالطبع ، ولم نجد ما يبرّره سوى أنه يواجه خصمنا اللّدود مواجهة مباشرة الآن ، وأنه يحتاج إلى المعلومات لتقدير قوته ، قبل أن يشرع فى اتخاذ خطوة يظنها نهائية .

واكتست ملامحه بصرامة مفاجئة ، وهو يردف فى صوت حمل كل بغضاء الدنيا :

— وكلانا يعلم أن (هنريك إدوارد) — على الرغم من قوته وغروره — ليس بالرجل المناسب للقضاء على ذلك الشيطان المصرى .

ثم التفت إلى (موشى) ، مستطردًا فى حزم :

— لذا فستولّى نحن عنه هذه المهمّة .

نهض (موشى) من مقعده ، دون أن ينطق بحرف واحد ، فتابع مدير (الموساد) فى صرامة :

— سنسافر الآن إلى (إلسمير) ، فى طائرة خاصة يا (موشى) .. ومهمتك تقتصر على هدف واحد ..

واكتسى صوته بنبرة شيطانية شرسة ، وهو يستطرد :

— تصفية (أدهم صبرى) .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (موشى) ، لم تدم سوى جزء من الثانية ، عادت بعدها ملامحه إلى جمودها وبرودها ، وهو يقول فى ثقة وهدوء :

— سأفعل .

ثم غادر حجرة مدير (الموساد) إلى المطار مباشرةً ..

* * *

هبطت الطائرة القادمة من (القاهرة) ، فى مطار (أوتاوا) بـ (كندا) ، بعد عشرين ساعة من التحليق فوق المحيط الأطلنطى ، وزفرت (منى) فى قوة ، وهى تغادرها مغمغمة :

— أخيرًا .. كنت أظن أننا لن نصل أبدًا .

ضمّ (قدرى) ياقتى معطفه ، اتقاءً للبرد القارص ، وهو يتمتم قائلًا :

— لكل شيء نهاية يا (منى) .. ها نحن أولاء فى (كندا) ، وبعد خمس ساعات على الأكثر سنصل إلى (بافن) ، وهناك سنبحث عن وسيلة للوصول إلى (إلسمير) ، و .....

قاطعها ضاحكًا :

— رُوَيْدَكِ يا (منى) .. إن لدىّ الوسيلة بالطبع .. كنت أداعبك فحسب .

هتفت فى سخط :

— تداعبنى ؟!.. هل نسيت سبب قدومنا إلى هنا ؟.. دعنى أذكّرك إذن .. لقد جاء (أدهم) إلى هنا فى مهمة منفردة ، بعد أن أوقعنا فى (مصر) بعدد هائل من شبكات التجسس ، دلّت التحريات على أنها تتبع كلها من هنا ، وأن (هنريك إدوارد) يموّلها لسبب نجهله .. وبعد وصول (أدهم) إلى هنا بخمسة أيام ، قيل لنا : إنه تعرّض لحادث هليوكوبتر .. أورده حتفه .. ولمّا كان الخبر غير مؤكّد ، ولمّا كنا لا نثق فى مصرع (أدهم) بهذه البساطة ، فقد أتينا إلى هنا ، و .....

أوقفها (قدرى) بإشارة من يده ، وعقد حاجبيه وهو يقول فى حزن :

— إننى لم أنسَ هذا يا (منى) .. لم أنسه أبدًا .. إن قلبى يحمل قدرًا من الحزن يفوق ما تحمله أم ثكلى ، ولكننى أقاوم هذا الحزن بطريقتى ، وإلا حطّمنى تحطيمًا .. كل إنسان فى هذا العالم يقاوم الحزن بأسلوبه ، فهناك من يبكى ، ومن ينهار ، ومن ينتحر ، وهناك من يصاب بصدمة عصبية ، أو باكتئاب نفسى .. أما أنا فأقاوم حزنى بالمرح والمزاح .. إنه أسلوبى يا (منى) .

كانت كلماته الأخيرة مُفْعَمة بنبرات دامعة باكية ، انفطر لها قلب (منى) ، فربّتت على كتفه فى إشفاق ، وهى تغمغم فى أسف :

ــ معذرة يا (قدرى) .. أنت تعلم كم أعانى القلق ، و .....

قاطعها وقد استعاد لهجته المرحة ، التى حملت هذه المرّة كثيرًا من الحزن :

ــ اطمئنى يا (منى) .. سنعثر على (أدهم) .. سنعثر عليه بإذن الله .

امتلأ صوتها بالقلق ، وهى تغمغم :

ــ ليس هذا هو المهمّ يا (قدرى) .. المهمّ هو أن نعثر عليه حيًا .. وهذا ما يقلقنى ..

* * *

شعر (أدهم) هذه المرّة أنه هالك لا محال ، فهو يرقد فوق مائدة رخاميّة قويّة ، ومعصماه وقدماه مقيّدان إليها بأغلال فولاذية ، ودرجة البرودة تنخفض فى سرعة ، داخل حجرة التجميد فى شركة (هنريك إدوارد) ، ولا توجد وسيلة واحدة للفرار من الموت هذه المرّة ..

ورأى مؤشر البرودة يشير إلى الصفر المئوى ، ويواصل انخفاضه ، وشعر بدمائه تتجمّد فى عروقه ، وقفز ذهنه إلى ذكرى الساعات الماضية ..

إلى حيث بدأ كل هذا ..

لقد جاء إلى (إلسمير) خصيصًا لمعرفة السرّ ، الذى يختفى

خلف اهتمام (هنريك) ، بزرع كل هذا العدد من شبكات التجسّس ، التى تم إلقاء القبض على أفرادها فى (القاهرة) ، وانتحل شخصية رجل أعمال وملياردير فرنسىّ ، يحمل اسم (أندريه صاند) ، والتقى بالألمانى (فون دريك) ، الذراع اليمنى لـ (هنريك) ، ونجح فى إقناع (فون دريك) باصطحابه إلى (إلسمير) ، حيث التقى بـ (هنريك) ..

وكشف (هنريك) أمره بواسطة الكمبيوتر ، وبدأ (أدهم) صراعه مع (هنريك) ومنظمته ، وتطوّر هذا الصراع إلى مطاردة بطائرات الهليوكوبتر المقاتلة ، نجا منها (أدهم) فى أعجوبة ، ونجح بخدعة ماكرة فى التسلّل إلى شركة (هنريك) ، حيث كشف أن الشركة مجرّد ستار يخفى أكبر مصنع للذخيرة الحربية فى العالم ..

ووقع (أدهم) مرّة أخرى بين يدى (هنريك) ، الذى فاجأه بأنه يسعى للسيطرة على العالم أجمع ، ثم قرّر أن يجمّد (أدهم) فى درجة برودة سبعين تحت الصفر ، وهاهو ذا (أدهم) ينتظر رداء الموت الثلجى ، الذى يزحف نحوه بلا رحمة(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأول (تحت الصفر) .. المغامرة رقم (٦٤) .



وحاول للمرّة الألف أن يتخلّص من قيوده الفولاذية ، وأحنقه أنه لم يجد وسيلة واحدة ..

وعاد المؤشر ينخفض إلى عشر درجات تحت الصفر ، وبدأ جسد (أدهم) يرتجف من البرودة القارصة ، وحاول للمرّة الألف أن يتخلّص من قيوده الفولاذية ، وأحنقه أنه لم يجد وسيلة واحدة للفرار هذه المرّة .. وتذكّر كل مغامراته السابقة ، ونجاته من الموت عشرات المرّات فيما يشبه المعجزة ، واستعاد ذكرى علاقته بزميلته (منى) ، وحبه لها ، وتلك العاطفة القوية التي تربط بين قلبيهما ، وشعر بالأسف ؛ لأنه لن يراها قبل أن يلقى مصرعه ، ثم أغلق عينيه ، واستسلم للموت في هدوء ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، تمنّى أن تبقى على وجهه بعد أن يتحوّل إلى كتلة من الثلج ، حتى تكون آخر ما يراه (هنريك إدوارد) و (فون دريك) ..

وخارج حجرة التجميد وقف (هنريك) و (فون دريك) يراقبان مايحدث ، عبْر نافذة صغيرة من الزجاج المقوّى السميك ، وسط صمت تام ، قطعه (فون دريك) ، وهو يغمغم في أسف :

ــ يا للخسارة !

عقد (هنريك) حاجبيه ، وهو يلتفت إليه قائلًا في حنق :

ــ أيّة خسارة ؟!.. لقد انتصرنا على خصمنا تمامًا .

أومأ (فون دريك) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ أعلم هذا ، وإنما نطقت تلك الكلمة بسبب فكرة طارئة ، قفزت إلى رأسي فجأة .

هتف (هنريك) فى حنق :

ـ أية فكرة حمقاء هذه ؟

ارتبك (فون دريك) وهو يغمغم :

ـ إنها فكرة حمقاء بالطبع يا مستر (هنريك) ، ولكننى تصوّرت أننا ما كنا لنعانى كل هذا ، لو أن رجلاً مثل (أدهم صبرى) هو الذى يرأس شبكات التجسُّس ، التى زرعناها فى (مصر) ..

ازداد انعقاد حاجبى (هنريك) ، وهو يردد فى صوت خافت :

ـ رجل مثله ؟!

رانَ الصمت لحظة ، قطعها المشرف على حجرة التجميد ، وهو يقول فى آلية :

ـ المؤشر يعلن وصوله إلى العشرين تحت الصفر :

ـ هتف (هنريك) فجأة :

ـ أوقف كل هذا .. أوقفه بحق الشيطان ..

ثم التفت إلى (فون دريك) ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ فكرة رائعة يا صديقى .. إنك عبقرى .. عبقرى بحق .. إننا لن نقتل (أدهم صبرى) هذا ..

* * *

٢ ـ وذابت الثلوج ..

بدا الأمر بالنسبة لـ (أدهم) أشبه بالمعجزة ، حتى أنه لم يصدّق فى سهولة أنه حىٌّ يرزق ، يجلس فى حجرة مكتب (هنريك) الدافئة الأنيقة ، بعد أن كاد يلقى حتفه منذ أقل من ساعة واحدة فى قبر من الثلج ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يبتسم فى وجهى (هنريك) و (فون دريك) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل لى أن أفهم سرَّ هذا العفو السامى ؟

ظهر السخط على وجه (فون دريك) ، ولعن لسانه الذى نطق بهذا الاقتراح ، فى حين ابتسم (هنريك) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ أنت رجل شجاع بالفعل يا مستر (أدهم) .. فأنت لم تفقد روح الدُّعابة بعد ، على الرغم من نجاتك من موت محقّق ، ومن أن حرّاسى الأربعة يصوّبون إليك مسدساتهم الآن .

التفت (أدهم) فى هدوء إلى الرجال الأربعة ، الذين يصوّبون إليه فوّهات مسدّساتهم فى حذر وشراسة ، ثم عاد يستدير إلى (هنريك) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هل تظن أن خنازيرك الأربعة هؤلاء سيجعلوننى أرتجف خوفًا ، وأجثو على ركبتىّ طالبًا العفو ، لمجرّد أنهم يحملون هذه الألعاب النارية .

احتقن وجه (فون دريك) ، وهو يهتف فى غضب :

ــ أيها المتبجّح .

أمّا (هنريك) فقد أطلق ضحكة قوية ، قبل أن يقول :

ــ رائع يا مستر (أدهم) .. إنك تروق لى بالفعل .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى جدّيّة وصرامة :

ــ إننى أقدّم لك عرضًا خاصًا يا مستر (أدهم) .. إما أن تقبله ، أو تعود إلى حجرة التجميد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ هل تسمّى هذا عرضًا خاصًا ؟

تجاهل (هنريك) سخريته الواضحة ، واعتدل وهو يقول فى هدوء :

ــ إننى أعرض عليك العمل لحسابى ، مقابل نصف مليون دولار شهريًا ، وعرش (مصر) بعد النصر .

كاد (أدهم) ينفجر بضحكة ساخرة ، لولا أن لاح له فجأة أنها فرصة مثالية لكسب ثقة (هنريك) ، والحصول على حرية الحركة داخل الشركة ، للعثور على وسيلة لتدمير المنظمة كلها ، مع أحلام هذا الإمبراطور المجنون ، فعقد حاجبيه متظاهرًا بالتفكير فيما عرضه عليه (هنريك) ، وسأله فى هدوء جاد :

ــ ما نوع هذا العمل بالضبط ؟

أجابه (هنريك) فى هدوء :

ــ هذا يتوقف على استعداداتك الخاصة يا مستر (أدهم) .. قُل لى .. كم لغة تجيد ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ ست لغات بإجادة تامة ، ولغتين بنصف إجادة .

ابتسم (هنريك) ، وتألقت عيناه فى ظفر ، وهو يقول :

ــ رائع .. إنك تصلح للإشراف على شبكات التجسُّس التابعة لى ، فى كل أنحاء العالم .

هتف (فون دريك) فى دهشة واستنكار :

ــ مستر (هنريك) .. إن هذا .....

قاطعه (هنريك) ، وهو يقول فى قسوة وخشونة :

ــ (فون دريك) .. أظن أننى لم أفقد بعد حسن تقدير الأمور :

ــ ثم التفت نحو (أدهم) ، يسأله فى صرامة :

ــ ما قولك يا مستر (أدهم) ؟

حكّ (أدهم) ذقنه بسبّابته ، وتظاهر بالاستغراق فى التفكير ، وهو يغمغم :

ـــ إن هذا يساوى مرتبى فى المخابرات لأكثر من مائة عام ..

ثم اعتدل ، وقال فى جدّيّة :

ـــ اجعلها مليون دولار يا مستر (هنريك) .

ابتسم (هنريك) ، وهو يقول :

ـــ اتفقنا يا مستر (أدهم) .. إنك تستحقها .

وتألّقت عيناه ببريق الظفر ، وهو يستطرد :

ـــ إنك منذ هذه اللحظة أحد رجال (هنريك إدوارد) ، وأحد عظماء حكومة المستقبل .

* * *

« خطأ يا مستر (هنريك) .. خطأ رهيب » ..

هتف (فون دريك) بهذه الكلمات فى سخط وغضب واضحين ، بعد مغادرة (أدهم) الحجرة ، واستمع إليه (هنريك) فى هدوء وثقة ، وهو يستطرد فى حَنَق :

ـــ كيف يمكنك أن تثق به ، وتعهد إليه بهذا العمل الخطير ؟.. إنك حتى سمحت له بالتجوال فى أروقة الشركة فى حرّيّة ، و .....

قاطعه (هنريك) فى هدوء :

ـــ إنك غبىّ يا (فون دريك) .

اتسعت عينا (فون دريك) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ ماذا تقول يا مستر (هنريك) ؟

عقد (هنريك) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حِدّة :

ـــ أقول : إنك غبىّ يا (فون دريك) .

وهبَّ من مقعده فى حركة حادّة ، وضرب سطح مكتبه بقبضته ، وهو يستطرد فى غضب :

ـــ غبىّ لأنك لم تفهم (هنريك إدوارد) بعد .. هل كنت تتصوّر أننى سأتخلّى عن حرصى وحذرى هكذا فجأة ؟.. هل كنت تتصوّر أننى سأمنح ثقتى هكذا ، وبكل بساطة ، لرجل كان خصمًا لى منذ ساعات ؟.. كلّا يا (فون دريك) .. لقد منحت (أدهم صبرى) هذا حرية الحركة بالفعل ، ولكننى لم أمنحه ثقتى بعد .. صحيح أننى أراه الشخص المناسب ؛ للنهوض بمستوى شبكاتنا فى كل أنحاء العالم ، إلّا أننى وضعته تحت رقابة صارمة فى الوقت الحالى ، وعند أول بادرة للشك فى نواياه ، سيكون مصيره هو القتل فورًا ، وبلا رحمة .

مطّ (فون دريك) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ وماذا لو لجأ إلى حِيَله الشيطانية ، وتسبّب لنا فى بعض الخسائر .

ابتسم (هنريك) ابتسامة غامضة ، توحى بالخبث والدهاء والثقة ، وهو يقول فى هدوء :

— اطمئن .. إنه لن يفعل .
ثم لوّح بكفه ، مردفًا فى ثقة :
— كل مخلوق فى هذا العالم يمكن شراؤه بالمال يا عزيزى (فون دريك) ، ولكل مخلوق ثمنه ، وأنت تعرف كيف يسيل لعاب العظماء ، أمام الأوراق المالية الخضراء .. ومهما بلغت نزاهة (أدهم صبرى) هذا ، فلن يكون من السهل عليه أن يضحّىَ بمليون دولار شهريًا ، حتى الأباطرة لا يتنازلون عن مثل هذا المبلغ فى بساطة .
غمغم (فون دريك) فى شك وتبرّم :
— هناك نوعيات من البشر تختلف نظرتها للمال يا مستر (هنريك) .. ربما لم تلتق بها بعد ، ولكنها موجودة .. إنهم هؤلاء الذين يتضاءل المال أمام مبادئهم وطموحاتهم وعقائدهم ، حتى ولو أعطيتهم جبلًا من الذهب .
أطلق (هنريك) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :
— هؤلاء يملئون مصحّات الأمراض العقلية يا عزيزى (فون دريك) .
أراد (فون دريك) أن يعترض مرّة أخرى ، لولا أن ارتفع صوت قلق ، عبْر أجهزة المراقبة الصوتية ، المتصلة بمكتب أمن الشركة ، يقول فى اهتمام غير عادىّ :

— انذار عام .. هليوكوبتر تقترب من مبنى الشركة .. وتصرُّ على الهبوط .. انذار عام .. فليستعد الجميع ..
انتقل القلق والاهتمام إلى وجهى (هنريك) و (فون دريك) ، ثم أسرع الأوّل إلى أجهزته ، وهتف فى لهجة آمرة صارمة :
— لتخرج أربع طائرات (إكس ١٨) لاستقبالها ، وإجبارها على الهبوط ، وليحضر ركّابها إلى مكتبى فى حراسة مشدّدة .
ثم التفت إلى (فون دريك) ، وقال فى صرامة :
— يبدو أن اللُّعبة لم تنته بعد يا عزيزى (فون دريك) ، ولكننا سنواصل اللُّعب حتى نحرز النصر ، فلم يُخلق بعد من يهزم (هنريك إدوارد) ..

* * *

جوّل (أدهم) فى هدوء داخل شركة (هنريك) ، دون أن يحاول الإقدام على أيّة خطوة ، من شأنها أن تحيطه بالشكوك ، فلقد كان يعلم أنه يخضع الآن لمراقبة مكثّفة ، من قبل (هنريك) وأعوانه ، ولقد كان يعلم أن آلات التصوير تملأ المكان ، وعليه أن يعى الدرس هذه المرّة ..
ولكن عينيه الفاحصتين كانتا تسجّلان تفاصيل المكان فى دقّة ، حتى يمكنه الإفادة بكل ثغرة فى جهاز (هنريك) الأمنى ،

إلا أن إجراءات الأمن كانت بالغة الإحكام حقًا في ذلك المكان ، الذي بدا في عيني (أدهم) حصنًا حصينًا ، على الرغم من ثقته التامة بأنه ما من جهاز أمن في العالم أجمع ، يمكنه أن يبلغ ذروة الكمال ..

هنالك حتمًا ثغرة ما ، في مكان ما ، وعليه أن يبذل أقصى جهده للعثور عليها ، وكشفها ، وعندئذ سيقلب المائدة كلها على رأس (هنريك) ومنظمته ..

وفجأة .. وبينما كان مستغرقًا في أفكاره ، دوى صوت رجل المراقبة ، وهو يعلن عن وصول تلك الهليوكوبتر المجهولة ، فعقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ هليوكوبتر مجهولة ؟!.. أخشى أن .....

ثم تحرك في خطوات سريعة نحو مصعد (هنريك) الخاص ، وهو يستطرد في حزم قلق :

ـــ دع الخوف لنا بعد يا (أدهم) ، فقد تكون نبضات قلبك المسرعة هذه على خطأ .. ما الذي يأتي بـ (منى) إلى هنا ؟.. إنك واهم بالتأكيد يا (أدهم) ..

ولكن قلبه كان على حق هذه المرة ..

* * *

عقد (هنريك) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى (قدرى) و (منى) ، اللذين اصطحبهما رجاله إلى حجرته ، بعد هبوطهما بالهليوكوبتر على سطح الشركة ، واندفع (قدرى) يقول بالفرنسية في سخط :

ـــ ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟.. أهي شركة مصايد أسماك ، أم قاعدة حربية ؟.. كيف يجرؤ هؤلاء الحمقى على رفع أسلحتهم في وجهينا ؟

قال (هنريك) في صرامة :

ـــ من حقي أنا أن أقول : ماذا يحدث هنا بحق الجحيم يا سيدي ؟.. فلقد عبرت أنت أملاكًا خاصة بلا تصريح ، وهبطت في شركتي دون حق ، ودون أن تخبرني حتى من أنت ، وماذا تريد .

هتف (قدرى) في غضب :

ـــ عجبًا !!.. ألا تعلم من أنا ؟.. إنني الرجل الذي تسببت في هبوط أسعار أسهم شركاته ، وإفساد خمس من صفقاته ! بسبب شائعة سخيفة .. أنا (أندريه صاند) .

رفع (هنريك) و (فون دريك) حواجبهما في دهشة ، وغمغم الأول :

— مسيو (أندريه صاند) ؟!.. يا لها من مفاجأة !.. هناك خطأ بالتأكيد .

صاح (قدرى) ، وهو يلوّح بذراعه فى غضب أتقن تمثيله :

— بالطبع هناك خطأ .. وأنا أطالبك بتعويضي عن هذا الخطأ ، وإلا لجأت إلى القضاء .. لقد أشعت أنني لقيت حتفي ، فانقلبت بورصة (باريس) رأسًا على عقب ، وخسرت أنا ما يقرب من خمسة ملايين دولار .

ابتسم (هنريك) وهو يقول فى هدوء :

— رويدك يا مسيو (أندريه) .. سأعوّض كل خسائرك .. إننا لم نكن نقصد ما حدث بالطبع .

ثم أشار إلى أحد رجاله ، فتقدم نحو (قدرى) و (منى) ، والتقط لهما صورتين بآلة تصوير فورية ، أبرزت الصورتين من تجويف أسفلها على الفور ، فهتف (قدرى) فى سخط :

— ما هذا بحق السماء ؟

أجابه (هنريك) فى هدوء ، وهو يلتقط الصورتين من رجله :

— إجراء أمني بسيط يا مسيو (أندريه) ، لا تجعل هذا يقلقك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دلف (أدهم) إلى الحجرة ،

وخلفه اثنان من حرّاس (هنريك) ، يصوّبان إليه مسدسيهما ، وهو يقول فى سخرية :

— أمِن الضروري أن تلتصق فوّهات مسدسات رجالك بظهري ، كلما أتيت إلى مكتبك يا مستر (هنريك) ؟

خفق قلب (منى) فى قوة ، حينما سمعت صوته ، واستدارت إليه فى حركة سريعة ، وتهللت أساريرها على نحو لم يغب عن عيني (هنريك) و (فون دريك) ، فى حين جاهد (قدرى) ليسيطر على ملامحه ، وكتمت (منى) صيحة فرح كادت تنطلق من فمها ، حينما ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— يبدو أنك تستقبل ضيوفًا يا مستر (هنريك) .

أجابه (هنريك) فى برود ، وهو يدسّ صورتى (قدرى) و (منى) ، فى تجويف الكمبيوتر الخاصّ به :

— نعم يا مستر (أدهم) .. إنه مسيو (أندريه صاند) الحقيقيّ وسكرتيرته أو رفيقته . فالوقت لم يسعفه لتقديمها إلينا .

ابتسم (أدهم) ، فى سخرية ، وهو يقول :

(أندريه صاند) وسكرتيرته ؟!.. يا للسخافة !

كان (هنريك) يتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر فى اهتمام ، وهى ترسم صورتى (قدرى) و (منى) ، وقبل أن يقرأ الكلمات التى اصطفت تحت صورتيهما ، سمع (أدهم) يقول فى هدوء :

— إنها لخدعة يا مستر (هنريك) ، فهذا الرجل يدعى (قدرى) ، وهو خبير تزوير في المخابرات المصرية ، والفتاة هي (منى توفيق) ، تعمل برتبة نقيب .

اتسعت عينا (منى) و (قدرى) في ذهول ، وهما يحدقان في وجه (أدهم) ، وتألقت عينا (هنريك) في ظفر ، حينما أكد له الكمبيوتر صحة هذه المعلومات ، وهتفت (منى) في استنكار :

— (أدهم) ؟!.. كيف أمكنك أن .....؟

قاطعها (أدهم) في صرامة زادت من ذهولها :

— إننى أتقاضى مليون دولار شهريًّا ، مقابل العمل لحساب مستر (هنريك) يا زميلتى السابقة .. أليس كذلك يا مستر (هنريك) ؟

ابتسم (هنريك) في ارتياح ، وهو يقول :

— بلى يا مستر (أدهم) .. إنك تستحق ذلك عن جدارة .

ثم استدرك في هدوء :

— لقد فعلت الآن ما من شأنه إلغاء كل أثر للشك في قلبي من نواياك ، ولكننى أحتاج إلى دليل آخر ، وبعدها أمنحك كل الثقة والصلاحيات يا مستر (أدهم) .

سأله (أدهم) في هدوء ، متجاهلاً نظرات الذهول والاستنكار في عيني (قدرى) و (منى) :

— ماذا تطلب يا مستر (هنريك) ؟

التقط (هنريك) من درج مكتبه مسدسًا ، وقذفه إلى (أدهم) ، وهو يقول في صرامة :

— اقتلهما يا مستر (أدهم) .. اقتلهما الآن تربح كل شيء .

التقط (أدهم) المسدس ، وابتسم في هدوء ، وجذب نصفه العلوى إلى الخلف ، ليدفع الرصاصة الأولى داخل ماسورته ، ثم رفعه بلا تردُّد إلى رأس (منى) ، التي اتسعت عيناها في ذهول ، قبل أن يطلق (أدهم) الرصاص على رأسها في برود ..

* * *



٣ ـ شيطان ضد شيطان ..

دوّى صوت الرصاصة فى حجرة (هنريك) ، وتردد صداه فى قلب (قدرى) ، الذى لم يصدّق ما تراه عيناه ، واتسعت عينا (منى) فى ذهول ، وانتفض قلبها فى قوة ، إلا أنها لم تشعر بأدنى قدر من الألم ، على الرغم من أن (أدهم) قد أطلق الرصاص على رأسها مباشرة ، وحدقت فى الدخان المتصاعد من فوهة المسدس فى دهشة عارمة ، فى حين التفت (أدهم) إلى (هنريك) ، وهو يقول فى غضب واستنكار :

ــ إنها رصاصات (فشنك) يا مستر (هنريك) .

تنهّد (هنريك) فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ نعم يا مستر (أدهم) .. هذا صحيح ، ولكنك منحتنى الدليل الكافى .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وتقدم ليتناول المسدس من يد (أدهم) ، وهو يستطرد بابتسامة هادئة :

ــ إننى رجل شديد الحرص والحذر يا مستر (أدهم) ، كما سبق أن أخبرتك .. ولقد أردت أن أتأكد من أنك تدين لى بالولاء الكامل ، دون أن أخاطر باحتمال أن تطلق النار على رأسى أنا بحركة انتحارية ، لذا فقد منحتك هذا المسدس



ثم دفعه بلا تردد إلى رأس (منى) ، التى اتسعت عيناها فى ذهول ..

الخاص ، الذى أحتفظ به فى مكتبى ، ولكنك أثبت ولاءك الكامل ، فأنت لم تتردد لحظة فى إطلاق النار على زميلتك السابقة ، على الرغم من أنك لم تكن تعلم أن رصاصات المسدس زائفة .

لولا المجهود الذى بذله (أدهم) للسيطرة على ملامحه ، لانفجر ضاحكًا ، ولسخر من (هنريك) بكلماته اللاذعة .. فلقد أدرك هو أيضًا أن رصاصات المسدس زائفة ، حينما لم يطلب (هنريك) من أحد رجاله منح (أدهم) مسدسه ، وأعطاه مسدسًا يحتفظ به فى درج مكتبه بالذات .. ولقد تأكد (أدهم) من صحة استنتاجه حينما جذب الجزء العلوى من المسدس ، ورأى الرصاصة التى قفزت إلى ماسورته فى لمحة خاطفة ، عبر الفجوة الصغيرة ، المسئولة عن إلقاء الطلقات الخالية خارج المسدس ، وأدرك من نهايتها المطرطشة المضغوطة أنها مجرد مظروف فارغ ..

كان استنتاجًا سريعًا دقيقًا ، جعله يطمئن تمامًا ، وهو يطلق النار على رأس (منى) ..

كان استنتاجًا منحه ثقة (هنريك) التامة ، ولكنه تظاهر بالغضب ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت لم تكن تثق بى يا مستر (هنريك) .

ابتسم (هنريك) ، وهو يقول :

ـ لقد أصبحت أثق بك تمامًا يا مستر (أدهم) .

غمغم (قدرى) فى سخط :

ـ أما نحن فلا .

التفت (أدهم) ليواجه (قدرى) و (منى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هل تتصور أن يتخلى (أدهم صبرى) عن مليون دولار شهريًا من أجلكما ، أو من أجل (مصر) ؟

تطلع إليه (قدرى) و (منى) فى حيرة ، ثم لم تلبث رسالته الخفية أن وجدت طريقها إلى عقليهما ، فخفق قلباهما فى ارتياح ، وإن حافظا على الغضب المرتسم على وجهيهما ، وهما يجيبان فى آن واحد :

ـ كلا .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، ثم التفت إلى (هنريك) يسأله فى بساطة :

ـ ماذا نفعل بهما ؟

لوح (هنريك) بكفه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ اقتلهما .

وعلى الفور ارتفعت فوهات مسدسات رجال (هنريك) ، نحو (قدرى) و (منى) ..

* * *

قبل أن تنطلق رصاصة واحدة ، ارتفع صوت (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ مهلا ..

تردد رجال (هنريك) ، وتحفزت أصابعهم فوق أزندة مسدساتهم ، وهم يتقلبون أبصارهم بين (أدهم) و (هنريك) ، الذى صاح فى حنق :

ـ ماذا تقصد بمخالفة أوامرى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ أظن أننا نخطئ بقتلهما يا مستر (هنريك) .

هتف (هنريك) فى غضب :

ـ هل عاودك الحنين إلى .....؟

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ـ لا علاقة للمشاعر بما أقول يا مستر (هنريك) .

صاح (هنريك) ، ساخطا :

ـ ماذا تعنى ؟

ظل (أدهم) على هدوئه ، وهو يقول :

ـ لم لا نضمهما إلى الفريق ؟.. لم لا نستفيد منهما ، بدلا من قتلهما ؟

عقد (هنريك) حاجبيه مفكرا ، ثم لوح بكفه قائلا :

ـ كلا يا مستر (أدهم) .. إن هذا يزيد من احتمالات الخطر .

هز (أدهم) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـ ولكن الأمر يستحق التفكير على الأقل .

مط (هنريك) شفتيه ، وصمت مفكرا بعض الوقت ، ثم عاد يلوح بكفه قائلا فى صرامة :

ـ ليكن يا مستر (أدهم) .

ثم استدرك فى حدة :

ـ ولكننى سأنتظر حتى فجر الغد فقط ، فإما أن أتخذ قرارا بضمهما إلى الفريق ، أو أصدر أوامرى بقتلهما بلا رحمة .

أومأ (أدهم) برأسه موافقا فى هدوء ، ولكن قلبه كان يضطرب بالانفعالات ، وقد رفرفت فى عقله حقيقة واحدة ..

لابد أن يدمر (هنريك) ومنظمته تماما ..

وقبل الفجر ..

* * *

لم يفه (قدرى) و (منى) بحرف واحد ، و (أدهم) يقودهما مع ثلة من رجال (هنريك) ، إلى الزنزانة التى قرر هذا الأخير إيداعهما فيها ، حتى فجر الغد ، ولكن عقليهما كانا يبحثان فى لهفة عن سر تظاهر (أدهم) بالعمل لحساب (هنريك) ، وعن الخطوة التي ينوى اتخاذها مستقبلًا ، حتى توقف الجميع أمام الزنزانة الواسعة ، وتطلع إليهما (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ ستمكثان هنا طوال العشرين ساعة القادمة ، حتى فجر الغد .. ولتعلما أن المكان كله مراقب بآلات التصوير التليفزيونية ، وأجهزة التصنّت .. وكل حرف تنطقانه ، أو حركة تقومان بها ، تنتقل إلى مستر (هنريك) مباشرة .. وحذار من أن تحدثا ضجة عند منتصف الليل ، فنحن هنا نكره الضوضاء ، ونميل إلى الهدوء .. هل فهمتما ؟

خفق قلب (منى) ، وهى تقول :

ـــ نعم .. فهمنا .

وغمغم (قدرى) فى هدوء :

ـــ فهمنا تمامًا .

تمنّى (أدهم) من أعماق قلبه أن يكونا قد فهما رسالته

حقًا ، وهو يشير إلى الرجال بإغلاق باب الزنزانة خلفهما ، واستدار فى هدوء ، واتجه ليواصل جولته فى شركة (هنريك) ، بحثًا عن تلك الثغرة ، وإن كان عقله قد توصّل إلى خطة انتحارية للفوز فى معركة ضد إمبراطور العالم المجنون ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، حينما صبّ (فون دريك) كأسين من الخمر ، وناول إحداهما لـ (هنريك) ، وهو يقول فى تبرّم :

ـــ مازلت أرفض انضمام ذلك الشيطان المصرى إلينا يا مستر (هنريك) .

تناول (هنريك) الكأس ، وارتشف بعضًا من محتوياتها ، قبل أن يبتسم فى هدوء ، ويقول :

ـــ دعْ لى تنسيق الأمور يا عزيزى (فون دريك) ، فأنا أكره من يعارضوننى .

امتقع وجه (فون دريك) ، وهو يقول :

ـــ إننى لا أعارضك يا مستر (هنريك) .. إننى أدلى برأيى فحسب .

غمغم (هتريك) فى خشونة :

ــ احتفظ بآرائك لنفسك يا عزيزى (فون دريك) ، وإلا .....

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت رجل المراقبة الجوّية يقول عبْر ميكرفونات الحجرة :

ــ هليوكوبتر أخرى تقترب .. إنذار عام .

عقد (هتريك) حاجبيه ، وهو يقول فى حنق :

ــ ماذا حدث ؟!.. هل تحوّلنا إلى مهبط عام لطائرات الهليوكوبتر ؟

ثم ضغط زرّ الاتصال ، وهو يقول :

ــ هل حدّد هُويّته ؟

أجابه رجل المراقبة :

ــ نعم يا سيّدي .. يقول : إنه مبعوث من (الموساد) ، يحمل معلومات بالغة السّرّيّة ، بشأن من أسماه (ن ــ ١) .

التفت (هتريك) إلى (فون دريك) ، وحملت نظراتهما انفعاليهما ، قبل أن يهتف (هتريك) فى لهفة :

ــ اسمح له بالهبوط ، وجئنى به على الفور .

ولم تمض دقائق حتى عبَر شاب وسيم ، ممشوق القوام ،

جامد الملامح ، باب حجرة (هتريك) ، وبدا صوته أكثر برودة من الطقس فى الخارج ، وهو يقول :

ــ (موشى دزرائيل) .. من (الموساد) .

صافحه (هتريك) و (فون دريك) فى حرارة ، إلا أنه صافحهما ببرود شديد ، ثم جلس على أقرب مقعد إليه ، ودسّ إحدى سجائره بين شفتيه ، وأشعلها فى هدوء ، ثم قال :

ــ هل (أدهم صبرى) هنا ؟

ابتسم (هتريك) ، وأشار إلى إحدى شاشات المراقبة ، وهو يقول :

ــ هاهو ذا يرقد فى فراشه .. لقد أصبح يعمل فى خدمتى الآن .

حدجه (موشى) بنظرة باردة ، قبل أن يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ يعمل فى خدمتك ؟!.. من أوهمك بأنه من الممكن أن يفعل (أدهم صبرى) ذلك ؟

اتسعت ابتسامة (هتريك) ، وامتلأت بالثقة والزهو ، وهو يقول :

ــ سحر المال يا صديقى .. لقد قبل العمل فى خدمتى مقابل .....

قاطعه (موشى) فى سخرية :

ــ صه أيها الأحمق .. إنني أحمل إليك المعلومات التي طلبتها عن (أدهم صبري) ، والمعلومة الأولى منها تقول : إنه لا يقدم على خيانة وطنه أبدًا ، حتى ولو منحته ثروتك كلها .. هل فهمت يا مستر (هنريك) ؟ .. إنه لا يخون وطنه أبدًا ..

اتسعت عينا (هنريك) في ذعر ، وشحب وجه (فون دريك) ، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها دقات الساعة لتعلن منتصف الليل تمامًا ..

* * *

كان منتصف الليل يعني الكثير بالنسبة لـ (أدهم صبري) ، ورفيقيه (قدري) و (منى) ..

لقد فهم الأخيران تلك الرسالة السرّيّة ، التي ألقاها على مسامعهما (أدهم) ، والتي يعلمهما فيها بأن المكان كله مراقب ، وأنه يحتاج إلى التحرُّك في منتصف الليل تمامًا ، ويطلب منهما إحداث ضجة هائلة في ذلك الموعد بالضبط ، حتى تلتفت إليهما كل الأنظار ، وينجح هو في التحرُّك ، قبل أن ينتبه رجال المراقبة إلى تحرُّكاته ..

وما أن دقت الساعة لتعلن منتصف الليل تمامًا ، حتى أطلقت (منى) صرخة مدوِّية ، وهي تهتف :

ــ لم أعُد أحتمل .. لم أعُد أحتمل ،

وصرخ (قدري) بدوره :

ــ أخرجونا من هنا عليكم اللّعنة !!

ولم يكن بمقدور (أدهم) أن يسمعهما ، ولا أن يعلم ما إذا كانا قد نفّذا الخطّة أم لا ، ولكنه لم يكد يسمع دقات الساعة حتى قفز من فراشه ، وانطلق لينفّذ مهمّته ..

وفي حجرة مكتب (هنريك) ، أشار (موشي) إلى شاشة المراقبة ، التي تنقل ما يدور في حجرة (أدهم) ، وقال في هدوء :

ــ هذا ما كنت أقصده .

امتقع وجه (هنريك) ، ثم عاد يحتقن غضبًا ، وضغط كل الأزرار التي توصله بمراكز الأمن في شركته ، وهو يهتف في غضب وصرامة :

ــ استنفار عام .. هدف واحد للجميع .. اقتلوا (أدهم صبري) .. اقتلوه بلا رحمة ..

* * *

٤ ـ واحد في المليون ..

سمع (أدهم) الأمر بقتله يتردد في كل مكان ، وتصوّر لحظة أن (قدري) و (مني) لم يفهما رسالته ، ولم ينفذا ما طلبه منهما ، إلا أنه تجاهل كل شيء ، وبدأ يحصي احتمالات نجاحه في الخروج حيًا من هذا الموقف ، وبدا له الاحتمال أقرب إلى الواحد في المليون ، ولكنه لم يشأ أن يتراجع ..

لقد بدأ مهمته ، ولن يتخلى عنها أبدًا ..

سيقاتل مستندًا إلى هذا الاحتمال في النجاة ..

الواحد في المليون ..

ومحال بخاطره فجأة أن ذلك الاحتمال قد يتضاعف ، لو أنه يقاتل رجال (هنريك) بعيدًا عن أجهزة مراقبته ..

وهذا يعني أن يقاتل من خارج المبنى ، وسط درجة برودة تبلغ الخمسين تحت الصفر ..

وبلا تردد أسرع نحو نافذة حجرته ، ودوى صوت (هنريك) ، عبر مكبرات الصوت ، وهو يهتف في توتر :

ـ أسرعوا .. إنه يحاول مغادرة المبنى :

وفي نفس اللحظة أطلق رجال (هنريك) رصاصات

مدافعهم الرشاشة على زجاج حجرته ، وهبط الاحتمال مرة أخرى إلى واحد في المليون .. أو أقل ..

* * *

كان الأمر يعتمد في تلك اللحظة على سرعة الأداء ..

كان هناك سبعة رجال يقتحمون الحجرة بمدافعهم الرشاشة ..

وكان هناك رجل وحيد أعزل ، اسمه (أدهم صبري) ..

وبقفزة واحدة بارعة رشيقة ، عبر (أدهم) نافذة الحجرة ، واستقر على إفريزها الخارجي ، بعد أن حطم زجاجها ، واندفع الهواء البارد إلى الحجرة ، وبعث قشعريرة قوية في أجساد الرجال السبعة ، وشعر هو بالبرودة القارصة تحيط به ، وتكاد تجمد دماءه وعضلاته ، ولكن فوهات المدافع الرشاشة المصوبة نحوه ، جعلته يتحرك في سرعة ، ويتفادى سيل الرصاصات الذي انهمر عليه كالمطر ، ويتعلق بالإفريز العلوي في مرونة ، ليختفي من أمام أعين الرجال السبعة كالشبح ..

وأسرع الرجال نحو النافذة في شراسة ، وسمعوا صوت (هنريك) ، عبر مكبرات الصوت ، يصرخ في غضب :



وبقفزة واحدة بارعة رشيقة ، عبر (أدهم) نافذة الحجرة ، واستقر على إفريزها الخارجي ..

— الحقوا به .. أريد رأس هذا الرجل بأي ثمن .. أي ثمن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى عاد (أدهم) إلى الحجرة فجأة ..

عاد كعاصفة عاتية ساحقة ، وهو يقفز فجأة داخل الحجرة ، ويركل أحد المدافع الرشاشة في سرعة ومرونة ، ثم يلتقطه في الهواء ، وهو يركل وجه رجل ثان ، قبل أن يهبط على قدميه ، ويعتصر زناد مدفعه الرشاش بلا تردد ..

صحيح أن (أدهم صبري) يكره إراقة الدماء ..

وصحيح أنه لا يلجأ إلى القتل إلا للضرورة القصوى ، والدفاع عن حياته فقط ..

ولكن احتمال نجاح يقدر بواحد في المليون يُعَدّ — بلا شك — ضرورة قصوى ..

لذا فقد أطلق (أدهم) النار بلا تردد ، وحصد الرجال السبعة بلا رحمة ، وقد قرر أن يريق نهرًا من الدماء إذا ما لزم الأمر ، ليمنع ذلك المجنون من المضيّ قدمًا في خطته الشيطانية ..

والتقط (أدهم) ثلاثة مدافع رشاشة ، أمام عيني (هنريك) ، الذي يراقبه عبر شاشات الرصد والمراقبة ، وعلق اثنين منهما في كتفيه ، وأمسك بالثالث في يسراه ، دون أن يتخلى عن المدفع الأول ، الذي يمسكه بيمناه ، متجاهلًا صراخ (هنريك) الساخط ، وهو يهتف في ثورة وجنون :

— اقتلوا هذا الرجل .. اقتلوه أو أقتلكم جميعًا .. اقتلوه بحق الشيطان ..

وانطلق (أدهم) يعدو خارج حجرته ، وقد تحوّل إلى كتلة من البأس والإصرار ، والعناد ، والقوة ، وهو يطلق نيران مدفعيه الرشاشين على كل من يعترض طريقه ، الذى يشقه نحو هدف وقع عليه اختياره مسبقًا ..

واستشاط (هنريك) و (فون دريك) غضبًا ، وهما يراقبان ما يحدث ، وصاح الأخير فى غضب :

— لقد حذرتك يا مستر (هنريك) .. لقد حذرتك .

أما (موشى) فقد ظلّ يراقب شاشات الرّصد بملامحه الجامدة الباردة ، التى لا تشفّ أبدًا عمّا يعتمل فى نفسه ، ثم أمسك كتف (هنريك) فى قوّة ، وهو يقول فى برود :

— هل لديكم هنا مولّد خاص للكهرباء ؟

أجابه (هنريك) فى دهشة :

— بالطبع .. إن التيار العادى لن .....

قاطعه وهو يسأله بنفس البرود :

— هل تعمل كل آلات التصوير بالتيار الكهربى ؟

حدّق (هنريك) فى ملامحه الباردة لحظة فى حيْرة ، ثم لوّح بذراعيه كلها ، وهو يقول فى سخط :

— بالطبع ..

كاد يقسم أن إجابته لم تترك أدنى أثر فى ملامح (موشى دزرائيلى) ، لولا أن لمح ذلك البريق الخافت ، الذى تألّق فى عينيه ، وهو يلتقط مسدّسه من جيب سترته ، ويقول بلهجته الباردة الجافّة :

— أعتقد أنها فرصة مثالية إذن ؛ لنلتقى أنا و (أدهم صبرى) فى ساحة واحدة .

* * *

كان ما كان يرجوه (أدهم) وهو يشق طريقه وسط هذا الفيض ، من رجال أمن (هنريك) ، هو أن ينجح فى الوصول إلى مولّد الكهرباء فى الطابق الثانى ، ويدمّره ، ليسود الظلام فى أروقة الشركة ، ويرتفع احتمال نجاته إلى عشرة فى المليون ، بدلًا من واحد فى المليون ..

ولقد قاتل بكل ما يملك من قوّة وإصرار ؛ ليحقّق هذا الهدف ، حتى أصبح على قيد أمتار قليلة من هدفه ..

ومن حسن حظّه أن الطريق الذى كان عليه اجتيازه ؛ للوصول إلى قاعة المولّد الكهربى ، كان عبارة عن ممرّ ضيّق ، أتاح له أن يطلق رصاصات مدفعيه الرشاشين فى سخاء ، وهو

يتراجع بظهره نحو القاعة ، ويحول بين رجال (هتريك) والوصول إليه ، حتى لامس باب القاعة الفولاذى بظهره ..

واكتفى (أدهم) بإطلاق مدفع رشاش واحد ، وفتح رتاج الباب الفولاذى بيده الأخرى ، ثم دفع الباب بظهره ، وقفز إلى حجرة المولد ، وأغلق الباب الفولاذى خلفه فى إحكام ، وسمع صوت أقدام رجال (هتريك) ، وهم يركضون عبر الممر ، وصوت رصاصات مدافعهم الرشاشة ، وهى ترتطم بالباب الفولاذى ، وترتد فى قوة ، وشعر ببرودة قارصة داخل القاعة ، إلا أنه تجاهلها وهو يغمغم فى سخرية :

— لقد ارتفع احتمال النجاة إلى أكثر من واحد فى العشرة آلاف أيها الأوغاد ..

وفجأة .. دوى صوت رصاصة فى القاعة ، وطار مدفع (أدهم) الرشاش من قبضته ، وقبل أن يلتفت إلى مصدر الطلق النارى انطلقت رصاصة أخرى ، أطاحت بالمدفع الآخر ، ورأى (أدهم) وجد (موشى دزرائيلى) ، وهو يجلس هادئًا فى ركن القاعة ، ويلوح بمسدسه ، الذى تتصاعد من فوهته الأبخرة ، ويقول فى برود :

— مرحبًا يا مستر (أدهم) .. إننى أتوق لمقابلتك منذ فترة طويلة .. أقدم لك نفسى .. (موشى دزرائيلى) من (الموساد) .

* * *

أطلق (هتريك) ضحكة عصبية تموج بالانفعال ، وهو يشير إلى شاشة المراقبة ، صائحًا فى حماس :

— انظر يا (فون دريك) .. انظر كم هو رائع (موشى) هذا .. لقد هبط من الطابق الثالث إلى الطابق الثانى من الخارج ، متحديًا الثلوج ، ودرجات البرودة الشديدة ، وحطم نافذة قاعة المولد الكهربى ، وجلس ينتظر قدوم (أدهم صبرى) .. انظر كيف سيطر على الموقف .. انظر .

عقد (فون دريك) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

— لماذا لم يطلق النار على رأسه مباشرة ؟

انتقل ضيقه وقلقه إلى (هتريك) ، الذى غمغم فى توتر :

— اصمت يا (فون دريك) .. دعنى أتابع ما يحدث .. اصمت .

كان (أدهم) فى تلك اللحظة يتطلع إلى (موشى) فى

هدوء ، وقد جذبه ذلك الجمود الذى يكسو ملامح هذا الأخير ، فعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ــ (موشى دزرائيلى) !! حسنًا .. دعنى أراجع معلوماتى أيها الوغد .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد فى لهجة استفزازية :

ــ اسمك (موشى حاييم دزرائيلى) .. عمرك ثلاثة وثلاثون عامًا .. من الفئة الممتازة فى (الموساد) .. تحمل الرمز (أ ــ ٣٠) .. يطلقون عليك لقب (صاحب الألقاب) .. لم يصادفك الفشل مرّة واحدة ، طوال خمس سنوات من العمل ، والدك كان يحمل الجنسية الفرنسية ، ووالدتك بلجيكية ، أمّا أنت فمن (الصّابرا)(*) .. هل أخطأت فى معلومة واحدة يا عزيزى (موشى) ؟

أجابه (موشى) فى برود :

ــ مطلقًا .

ثم أردف بنفس البرود :

(*) الصابرا : الجيل الجديد ، المولود فى (إسرائيل) ..

ــ ألق المدفعين الرشاشين ، اللذين تعلّقهما فى كتفيك يا مستر (أدهم) .

كان (أدهم) يعلم جيّدًا أن (موشى دزرائيلى) هدّاف من الدرجة الأولى الممتازة ، وأنه لا يخطئ إصابة هدفه أبدًا ، فألقى المدفعين الرشاشين عن كتفيه فى هدوء ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى سخرية :

ــ هيًّا أيها الوغد .. أطلق رصاصتك .. إننى أملّ الانتظار طويلًا .

لاح شبح ابتسامة على شفتى (موشى) ، قبل أن يعود إلى جموده ، وهو يقول فى برود :

ــ وأضيع فرصة نادرة كهذه ؟!.. كلّا يا مستر (أدهم) .. إن لدىّ خطّة أخرى .

ثم أعاد مسدسه إلى جيب سترته ، ونهض ليخلعها فى هدوء ، وهو يستطرد :

ــ إنه اختبار لن يتكرّر أبدًا يا مستر (أدهم) .. اختبار قوّتى أمام قوّتك ، ولست أنوى إضاعة هذه الفرصة النادرة أبدًا ..

واتخذ وضعًا قتاليًا ، وهو يردف فى برود :

ــ استعد .

وبدأ القتال بلا تردّد ..

* * *

٥ ـ الصراع المستحيل ..

بدأ الصراع بفقرة فائقة البراعة ، حاول (موشى) ـ بواسطتها ـ أن يركل (أدهم) في وجهه ، ولكن (أدهم) تفادى الركلة في براعة ، ومال جانبًا ، ودفع قبضته في وجه (موشى) ، الذى تلقاها على ساعده ، وأطلق قبضته في وجه (أدهم) ..

وفي حجرة (هنريك) ، صاح (فون دريك) في سخط واستنكار :

ـ ماذا يفعلان بحق الشيطان ؟!.. لماذا لم يقتله (موشى) ، بدلًا من أن يشتبك معه في صراع يبدو يستحيل التكهّن بنهايته ؟.. انظر يامستر (هنريك).. إن أحدهما لم ينجح في توجيه لكمة واحدة صائبة للآخر حتى الآن ..

كان (هنريك) يبدو شديد الغضب والحَنَق ، وهو يقول :

ـ يبدو أن (موشى) هذا يهوى لعب دَوْر الفارس .

ثم التفت إلى (فون دريك) ، وقال في صرامة غاضبة :

ـ لقد أخطأنا حينما اعتمدنا على الغرباء يا (فون دريك) .. إننا سنقاتله بأنفسنا ، وسندافع حتى آخر قطرة عن إمبراطوريتنا السابقة .

وازداد صوته غضبًا وصرامة ، وهو يستطرد :

ـ مُرْ رجالنا بمحاصرة قاعة المولِّد يا (فون دريك) ، ومُرْ فرقة الصاعقة الخاصة بالتسلُّل إلى هناك من الخارج ، ولينسفوا القاعة كلها إذا لزم الأمر .. المهم أن يقتلوا هذين المجنونين .

غمغم (فون دريك) :

ـ هذا مستحيل يا مستر (هنريك) .

صرخ (هنريك) في غضب :

ـ نفِّذ ما أمرتك به بلا مناقشة .

ولأوّل مرّة في حياته ، صاح (فون دريك) في وجه زعيمه في صرامة :

ـ كلّا يا مستر (هنريك) .

ارتفع حاجبا (هنريك) في دهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!.. هل تجرؤ على ..... ؟

قاطعه (فون دريك) في حِدّة :

ـ كفى يا مستر (هنريك) .. إنك لا تدرك ما يعنيه

ذلك .. هل نسيت أن المكان كله يدار بالكهرباء ، حتى ماكينات تصنيع الذخيرة ، و .....

صرخ (هنريك) مقاطعًا إياه في ثورة :

ـ كل شيء يمكن تعويضه .. فليتوقف تصنيع الذخيرة ، وليتحطم المولّد عن آخره ، وسأعوّض كل هذا خلال يومين فقط على الأكثر .

صاح (فون دريك) :

ـ وماذا عن أجهزة التكييف ؟.. هل ستحتمل يومين كاملين بدون أجهزة التكييف ، في درجة برودة تكاد تبلغ الخمسين تحت الصفر ؟

ارتسم الجزع على وجه (هنريك) ، الذي لم يكن قد تنبّه إلى هذه النقطة من قبل ، وتلاشت ثورته دفعة واحدة ، وعقد حاجبيه في قلق وتفكير ، وهو يغمغم في اضطراب :

ـ يا للشيطان !!.. إن هذا يقلب الأمور كلها رأسًا على عقب .

اعتدل (فون دريك) في وقفته ، وبدا أكثر طولًا وأقوى شخصية ، وهو يشير إلى صدره ، قائلًا في حزم لم يعهده فيه (هنريك) أبدًا :

ـ اعهد لي بالأمر ، وسأجبر ذلك المصري على الاستسلام .

سأله (هنريك) في لهفة متوترة :

ـ وكيف ؟

تألقت عينا (فون دريك) في عزم ، وهو يقول :

ـ بواسطة الأسيرين المصريين .. (قدري) و (منى) ..

* * *

كان القتال بين (أدهم) و (موشى) عنيفًا .. إلا أن قوتيهما بدتا متقاربتين ، حتى بات انتصار أحدهما على الآخر في قتال يدوي مستحيلًا ، وفي أثناء التحامهما مرّة ، قال (أدهم) في حزم :

ـ من الخطأ أن نتقاتل هذه المرّة يا (موشى) .. إن الموقف يهدد دولتينا ، وينبغي أن نعمل جنبًا إلى جنب .

دفعه (موشى) بعيدًا ، ولكمه في معدته ، وهو يقول :

ـ هل شعر (أدهم صبري) بالخوف ؟

تفادى (أدهم) اللكمة في براعة ، وركل (موشى) في أنفه ، وهو يقول في سخرية :

— ربما ، فسيؤسفنى أن أحطّم غرورك .

تراجع (موشى) برأسه إلى الخلف ، ليتفادى ركلة (أدهم) ، وهو يقول :

— لا أظنك ستجد الوقت الكافى لذلك .

قفز (أدهم) إلى الخلف ، وعقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول فى برود :

— من الواضح أنك تجيد المهارات القتالية إلى حدٍّ لا بأس به يا (موشى) ، وربما كنت أبرع رجال (الموساد) ، ولقد حاولت ضمك إلىّ ، فى معركة ضد رجل يهدد دولتينا معًا ، ولكن غرورك جعلك ترفض الاستماع لصوت العقل .

قال (موشى) فى صرامة باردة :

— قاتل يا مستر (أدهم) ، ولا تضيّع الوقت فى حديث تافه .

ابتسم (أدهم) ابتسامة تجمع ما بين السخرية والحزم ، وقال فى هدوء :

— يبدو أنك شديد الثقة بقدراتك يا (موشى) ، لمجرّد أنك حاصل على أعلى مراتب التفوّق فى رياضتى (الكاراتيه) و (الجودو) ، ولكنك لم تدرك أننى كنت أختبر قدراتك

فحسب ، طوال الدقائق العشر الماضية . أما الآن فدعنا نتقاتل بكل قوانا .

أطلق (موشى) صرخة قتالية مخيفة ، وانقضّ على (أدهم) ، ولكن هذا الأخير استعان فجأة بكل ما يملك من سرعة وقوّة ومرونة ، فغاص إلى أسفل ، متفاديًا لكمة (موشى) ، ومال يمينًا ، ثم عاد إلى اليسار فى سرعة مذهلة ، أربكت (موشى) ، وانتصب فجأة ليلكم رجل (الموساد) لكمة قوية ساحقة فى فكّه ، ثم تحرّك فى سرعة ليغوص بركبته فى معدته ، ويهوى براحته على مؤخرة عنقه ليلقيه أرضًا ، ثم قفز يلتقط مدفعًا رشاشًا ، ويصوّبه إليه ، قائلًا فى سخرية :

— هل أدركت الآن ما أعنيه يا بطل أبطال (الموساد) ؟

نهض (موشى) فى هدوء ، ونفض الغبار عن حُلّته ، وهو يقول بنفس البرود والملامح الجامدة :

— إنك تتحرّك بسرعة تثير الإعجاب يا رجل المخابرات المصرية الأوّل ، وقبضتك قويّة حقًّا ، والحقيقة الوحيدة التى أدركها الآن ، هى أنه من المستحيل القضاء عليك فى صراع يدوىّ ، وأن أفضل الطرق لهزيمتك هى الحيلة والذكاء .

ثم لاحت على شفتيه شبح ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد

في برود ، مشيرًا إلى المدفع الرشاش ، الذي يصوّبه إليه (أدهم) :

ـ ولكن يبدو أنني لن أحيا لتعديل أسلوبي في مقاتلتك .

قبل أن يجيبه (أدهم) ارتفع صوت (هنريك) ، عبر مكبّرات الصوت ، وهو يقول في صرامة :

ـ لا تحاول يا مستر (أدهم) .. إن زميليك (قدرى) و (منى) هنا في مكتبي ، وهناك أربعة مسدسات مصوّبة إلى رأسيهما ، وإمّا أن تستسلم فورًا ، أو أقتلهما .. ما قولك يا مستر (أدهم) ؟.. إنني لن أنتظر طويلًا ..

* * *

كان خيارًا صعبًا عسيرًا ، ذلك الذي يواجهه (أدهم) .. كان عليه أن يختار بين حياته ، وحياة (قدرى) ، أعز أصدقائه ، و (منى) ، أحب مخلوقة إليه في الوجود ..

وكان صراعًا بين واجبه وعواطفه ..

صراعًا مستحيلًا ..

ولكن (أدهم) أدرك فجأة أنه لا يملك الخيار ..

إن قراره لا ينبغي أن يمس أبدًا أمن (مصر) ، مهما كان الثمن ..



ثم تحرّك في سرعة ليطوح بركبته في معدته ، وهوى براحته على مؤخرة عنقه ..

إن رفضه ذلك التهديد قد يعني مصرع (قدري) و (منى) ، ولكن خضوعه له يعني مصرعهما ومصرعه بالتأكيد ..

ويعني أيضًا أن يمضي (هتريك) قدمًا في خطته الجنونية لاحتلال العالم ..

إن (أدهم) إذن لايملك خيارًا ..

وانتزعه فجأة صوت (موشى) من أفكاره ، ومن صراعه الداخليّ ، وهو يقول في برود :

ـــ أطلق النار عليّ بسرعة يا مستر (أدهم) .. فأنا أعلم أنك لن تخضع لتهديده أبدًا .

أجابه (أدهم) في صرامة :

ـــ ليس من عادتي أن أطلق النار على العُزّل يا رجل (الموساد) ..

وفي حركة سريعة أعلن (أدهم) قراره ، واستدار ليطلق النار على ماكينة التحكُّم في المولّد الكهربيّ ، وهو يهتف في مرارة :

ـــ سامحني يا (قدري) .. سامحيني يا (منى) .. هذا من أجل (مصر) .. من أجل العالم كله .

وساد الظلام في قلعة الثلوج ..

* * *

٦ ـــ الانتحاري ..

لم يكد الظلام يسود المكان ، حتى صرخ (فون دريك) في ذعر :

ـــ يا للشيطان !!.. ستقتلنا البرودة جميعًا .. لقد حطم المصريّ المولّد !

صاح به (هتريك) في صرامة :

ـــ اخرس أيها الغبيّ .. لقد أطلق النار على ماكينة التحكُّم فحسب .

صرخ (فون دريك) :

ـــ وما أدراك أنه لايطلق النار على المولّد نفسه في هذه اللحظة ؟.. إن آلات التصوير لم تعد تعمل ..

أطلقت (منى) ضحكة ساخرة ، وهي تقول :

ـــ سيدهشني لو أنه لم يفعل .

صاح به (هتريك) ، وهو يتطلّع إليها على ضوء مصابيح رجاله اليدوية :

ـــ صهٍ يا فتاة المخابرات المصرية .. إنك تستحقين القتل مع رفيقك البدين هذا ، فهكذا كان الاتفاق .

مطَّ (قدرى) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـــ افعل إذن ، فسيوفر هذا من التطلّع إلى وجهك القبيح .

ضمَّ (هنريك) قبضته فى قوّة ، وبدا لحظة وكأنه سيلكم (قدرى) فى وجهه ، إلا أن قبضته لم تلبث أن تراخت فجأة ، وهو يلتفت إلى (فون دريك) ، قائلاً فى لهجة آمرة صارمة :

ـــ مُرْ رجالنا باقتحام حجرة المولّد بأىّ ثمن ، وليحاولوا تقدير الخسائر ، والعمل على إصلاحها بأسرع وسيلة ممكنة ، وليتخذ رجال الأمن مواقعهم ، وليستعدّوا لإطلاق النار على أى شخص يشتبه فى أمره .. هيّا .. إننى لن أسمح لذلك المصرىّ بهزيمتنا أبدًا .. أبدًا .

* * *

عندما أصابت رصاصات (أدهم) ماكينة التحكّم فى المولّد الكهربىّ ، حاول (مرفى) أن يهاجمه ، مستغلاً الظلام الذى ساد المكان دفعة واحدة ، ولكنه حينما قفز إلى حيث كان يقف (أدهم) ، لم تصب قبضته سوى الفراغ ، وشعر بالسّكون يحيط به مع الظلام الدامس ، فعقد حاجبيه فى حيرة ، وحاول أن يخترق ببصره حجب الظلام ، ثم لم يلبث أن أدار

عينيه بحركة حادّة إلى النافذة المحطّمة ، وأخفى الظلام ابتسامته الساخرة ، وهو يندفع نحوها ، ملتقطًا مسدّسه ، ودون أن ينبس بحرف واحد ، قفز عبْر النافذة ، وغاب وسط الثلوج القارصة البرودة ، بدت أقرب إلى برودة أعصابه ، وهو ينطلق خلف غريمه .. أو بحثًا عنه على وجه الدّقة ..

* * *

أسرع (فون دريك) عائدًا إلى حجرة مكتب (هنريك) ، وقال وهو يلهث من فرط المجهود ، والانفعال :

ـــ التلف محدود فى قاعة المولّد يامستر (هنريك) ، لحسن الحظ ، وسيستبدل رجالنا ماكينة التحكّم خلال ربع ساعة فقط .. لقد كنا سعداء الحظ ؛ لأن ذلك الشيطان المصرىّ ليس خبيرًا فى الماكينات الآلية ، وإلا أصاب جزءًا يصعب استبداله .

تألّقت عينا (هنريك) فى ظفر ، وهو يقول ، موجّهًا حديثه إلى (قدرى) و (منى) :

ـــ هل رأيتما كيف أن هزيمة (هنريك إدوارد) مستحيلة ؟.. لقد أبقيْتُ على حياتيكما لتشهدا انتصارى أوّلاً ، قبل أن تلقيا حتفيكما ..

تبادل (قدرى) و (منى) نظرة حائرة قلقة ، وهما يتساءلان عن سرّ إحجام (أدهم) عن تدمير المولّد بأكمله ، في حين أنه يعلم تمامًا الجزء الذى ينبغى تحطيمه ، ليصبح المولّد مجرّد كتلة من الصلب عديمة الجدوى ، ووقر في قلبيهما أن (أدهم) يعدّ لهجوم جديد ، أو لخطّة معقّدة ، تستلزم عودة المولّد للعمل ، ولكن ما خطّته ؟!..

ظلّت هذه الفكرة تملأ عقليهما وقلبيهما ، طوال ربع الساعة التالى ، حتى سطعت الأضواء فجأة ، وهتف (فون دربك) في ارتياح :

— لقد انتصرنا .

وهنا قفز (هنريك) إلى شاشات المراقبة ، وأشعلها كلها دفعة واحدة ، وهو يقول في شراسة :

— الآن سيدفع رجلكما المصرىّ الثمن .. ستكشفه شاشاتى أينما كان .

ونقل بصره في لهفة بين الشاشات ، واحدة بعد أخرى ، ثم عقد حاجبيه في غضب ، وهو يغمغم :

— أين ذهب ذلك الشيطان ؟.. هل تبخّر ؟.. أم......؟

ثم ضغط كل أزرار الاتصال ، وهو يهتف :

— واصلوا البحث عن ذلك الشيطان المصرىّ ، ولتخرج ثلاث فرق لتفقّد المنطقة المحيطة بالمبنى .. أريد جثته بأىّ ثمن .

مال (فون دربك) نحو الأجهزة ، يراقب شاشاتها في قلق ، ثم أشار إلى الشاشة التى تنقل ما يدور على السطح ، وقال في توتّر :

— انظر هنا يامستر (هنريك) .

نقل (هنريك) عينيه إلى الشاشة نفسها ، وهو يقول في عصبيّة :

— ماذا هناك ؟.. إنهم رجال الحراسة الثلاثة في مواقعهم ، و.....

وفجأة .. بتر عبارته ، وحدّق في الشاشة بمزيد من التوتّر والعصبيّة ، وهو يهتف :

— يا للشيطان !! إنهم فاقدوا الوعى ، ولقد ثبّتهم شخص ما في هذا الوضع ، و .....

وقبل أن يتم عبارته ، دوّى صوت تحطّم زجاج نافذة حجرته في قوّة ، واندفع (أدهم صبرى) عبْر النافذة المحطّمة ، وسط عاصفة من الثلوج والبرودة .. والإصرار ..

* * *

كان حرّاس (هتريك) الأربعة من القاتلين المحترفين حقًا ، وعلى الرغم من مفاجأة هجوم (أدهم) الانتحارى ، إلا أنهم تحرّكوا فى سرعة رائعة ، واتجهت فوّهات مسدّساتهم الأربعة نحو (أدهم) ، وتحفزت سبّاباتهم لاعتصار أزندة المسدّسات .

وتحرّكت (منى) أيضًا ..

ولكمت (منى) أقرب الرجال إليها فى مؤخرة عنقه ، بكل ما تملك من قوّة ، ثم ركلت مسدّسه ، وقبل أن يسقط أرضًا ، التقطت المسدّس فى الهواء ، ودارت بجسدها لتطلق منه رصاصة ، أطاحت بمسدّس الرجل الثانى .

وفى نفس اللحظة كان (أدهم) يحطّم حنجرة الثالث بلكمة ساحقة ، ثم يدور على عقبيه فى رشاقة مدهشة ليركل المسدّس من يد الرابع ، ثم يغوص بقبضته اليسرى فى معدته ، ويعقب ذلك بلكمة سريعة كالبرق حطّمت أنف الرجل ، وحوّلته إلى خليط من العظام المفتّتة واللحم المفرىّ ..

وحاول الرجل الأوّل أن ينهض ، لينقضّ على (منى) فى غضب ووحشية ، إلا أنه وجد جسده يلتصق بالأرض ، وشعر بأنفاسه تتحشرج وتختنق ، وبثقل هائل يجثم على ظهره ، وسمع صوت (قدرى) الساخر ، وهو يقول من فوق ظهره :

ــ لو أردت رأيى ، فأنت لست أكثر المقاعد ، التى جلست عليها ، ليونة أيها الوغد .

واستدار الثانى ، الذى فقد مسدّسه برصاصة (منى) ، يحاول مهاجمتها ، وتفادى ركلتها القوية فى مهارة .. ولكنه لم يكد يفعل حتى هوت لكمة (أدهم) على مؤخرة عنقه كالقنبلة ، فأطلق خوارًا كالثور ، وسقط على وجهه فاقد الوعى ..

واستدار (أدهم) و (منى) بمسدّسيهما نحو (هتريك) ، الذى شحب وجهه فى شدّة ، و (فون دريك) ، الذى التصق بالحائط ، وهو يرتجف من فرط الذعر والبرودة ، وقال (أدهم) فى سخرية :

ــ يبدو أن خطّة احتلال العالم قد انتهت قبل أن تبدأ يا إمبراطور العالم المجنون ..

وفجأة .. دوّى فى المكان صوت رصاصتين سريعتين ، وطار مسدّسا (أدهم) و (منى) ، وارتفع صوت (موشى دزرائيلى) من ناحية باب الحجرة ، وهو يقول فى برود ساخر :

ــ كلّا .. ليس بعد يا مستر (أدهم) .. لقد كنت أتوقّع عودتك إلى هنا .. وكنت أنتظرك .

* * *

٧ ـ الخُطّة الحقيقية ..

استردّ (هنريك) تورّد وجهه ، وابتسامته الظافرة ، وهو يهتف في ارتياح وفرح :

ـ رائع يا مستر (موشى) .. إنك رجل رائع .

ثم أسرع يضغط زرًّا صغيرًا فوق سطح مكتبه ، وهو يستطرد في خفة :

ـ اسمح لي بإغلاق النافذة الاحتياطية أولًا .

وفي هدوء ، انزلقت نافذة زجاجية جديدة ، عَبْر تجويف أعلى النافذة المحطّمة ، واحتلّت مكانها تمنع الرياح الشديدة البرودة من التسلّل إلى حجرة (هنريك) ، وعاد الدفء يسود المكان ، في حين التفت (أدهم) إلى حيث يقف (موشى) ، وابتسم في سخرية ، وهو يقول :

ـ أهنئك يا (موشى) .. إنك غريم ممتاز يستحق الاحترام ، ولكن قل لي : بِمَ وعدك ذلك الوغد ؟.. أوَعدك بالحصول على حكم دولتك وحدها ، أم الشرق الأوسط كله ؟

ظلّ وجه (موشى) باردًا ، جامدًا ، وهو يقول :

ـ إنه لم يَعِدني بشيء بعد .

ثم أدار عينيه إلى (هنريك) ، وهو يستطرد في برود :

ـ إنه لم يذكر لي حتى خطّته تلك .

ارتبك (هنريك) لحظة ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شيء ما ، إلّا أن (أدهم) لوّح بكفّه في سخرية ، وهو يقول :

ـ دعني أخبرك أنا يا عزيزي (موشى) .. إن هذا الوغد المجنون يتصوّر أنه سينجح في احتلال العالم من خلال سلسلة من الثورات والاضطرابات الداخلية ، في دول العالم القوية .. ويتصوّر أن هذه الصراعات الداخلية ستمنحه الفرصة لشنّ الحرب على كل دول العالم ، والانتصار أيضًا .

غمغم (موشى) في برود :

إنها تبدو لي خطّة بالغة السذاجة .

هتف (هنريك) في ضيق :

ـ إنها ليست الخطّة الحقيقية .

ثم أردف في عصبيّة ، وهو يلوّح بكفّيه :

ـ لقد أخبرته بربع الحقيقة فحسب .

تمتم (موشى) ببروده المثير :

ـ دعني أستمع إلى الحقيقة كلها إذن .

تردّد (هنريك) لحظات ، وتبادل مع (فون دريك) نظرة قلقة ، ثم خفض عينيه ، وجلس خلف مكتبه ، وهو يقول في توتّر :

ــ الثورات الداخلية مجرّد خطوة أولى ، فهي تكفي لتوتّر الموقف تمامًا داخل الدول الكبرى ، بحيث تفور ثائرة الدولتين العظميين (روسيا) و (أمريكا) ، حينما تسقط على كل منهما صواريخها النووية ، التي ستبدو وكأن كلًّا منهما قد أطلقتها على الأخرى .. وستندلع عندئذ الحرب العالمية الثالثة ، التي ستفني الدولتين بلا شك ، وستحطّم عشرات الدول ، التي يوقعها سوء حظّها على خطّ القتال ..

وبعدها .. بعد أن تنهك الحرب الثالثة العالم ، يأتي دورنا نحن ، فننطلق بكل ما ندّخره من قوّة ، في وقت يلهث فيه العالم ضعفًا ، ولن يستغرق الأمر طويلًا حتى نحتل العالم بأكمله ، وننشئ إمبراطوريتنا الجديدة ..

بدا صوت (موشي) أكثر برودة وصرامة ، وهو يقول :

ــ ما جنسيتك بالضبط يا مستر (هنريك) ؟

تردّد (هنريك) لحظة ، ثم هتف في سخط :

ــ وما شأن جنسيتي بذلك ؟

أدرك (أدهم) مغزى سؤال (موشي) ، فأسرع يقول في هدوء :

ــ إنه ألماني يا (موشي) .. ألماني يسعى لإقامة إمبراطورية نازية جديدة .. ولا تجعل ذلك الاسم الذي يحمله يخدعك ، فأنا واثق من أنه لم يولد باسم (هنريك إدوارد) أبدًا .

وفي هدوء وبرود شديدين ، أدار (موشي) فوّهة مسدسه إلى (هنريك) ، وهو يقول :

ــ في هذه الحالة يختلف الأمر يا مستر (هنريك) .. إنني أجد نفسي مضطرًّا للعمل إلى جانب خصمي (أدهم صبري) ..

* * *

شحب وجه (هنريك) و (فون دريك) ، وتبادلا نظرة مفعمة بالانفعال ، ثم هتف (هنريك) في عصبيّة ، وهو يضغط ركن مكتبه في قوّة :

ــ هل صدّقت ذلك الهُراء يا (موشي) ؟.. ربما كان (فون دريك) ألمانيًا ، ولكنني لست كذلك .. إنني إنجليزيّ ، وأنت تعلم أن (بريطانيا) هي التي منحتكم دولتكم ، بوعد (بلفور) الشهير ، وليست عدوّتكم مثل (ألمانيا) النازية ، التي مزّقت أجدادك في معتقلاتها .. إنني بريطانيّ .. بريطانيّ ..

أجابه (موشى) فى برود :

ـ حتى لو كنت كذلك يامستر (هنريك) ، فأنت تسعى لإشعال الحرب العالمية الثالثة ، ودفع (روسيا) و (أمريكا) لتدمير بعضهما البعض ، وهذا لا يتفق مع مصالح دولتى ، التى مازالت تستند إلى القوة الأمريكية .

بدت الصرامة على وجه (هنريك) ، وهو يقول :

ـ أهذا قرارك النهائى ، حتى لو عرضت عليك نفس الأجر ، الذى عرضته على (أدهم صبرى) من قبل ؟

أجابه (موشى) فى برود :

ـ إنها النقطة الوحيدة التى نتفق فيها أنا و (أدهم صبرى) يامستر (هنريك) ، فكلانا لا يخون وطنه أبدًا ، مهما كان الثمن .

ارتسمت ابتسامة غامضة ، لا تتناسب مع الموقف ، على شفتى (هنريك) ، وهو يقول فى هدوء عجيب :

ـ أنت الملوم إذن .

ثم صاح فجأة :

ـ اقتله يا (أدولف) .

استدار (موشى) فى حركة حادة ، وكذلك فعل (أدهم)

و (منى) و (قدرى) ، ثم كشف الجميع الخدعة فى آن واحد ، فعادوا يلتفتون إلى (هنريك) ، ورأوا لدهشتهم حاجزًا زجاجيًا سميكًا يرتفع من أمام مكتبه ، ويحول بينه وبينهم ، وسمعوه يطلق ضحكة ساخرة شامتة ، عبر مكبرات الصوت ، وهو يقول :

ـ إنه حاجز مضاد للرصاص أيها السادة .. إنكم لن تهزموا (هنريك إدوارد) بهذه البساطة ..

ثم ضغط كل أزرار الأمن ، وهو يستطرد فى صرامة ، وباللغة الألمانية :

ـ إلى كل الرجال .. الجواسيس هنا فى مكتبى .. اقتلوهم جميعًا بلا رحمة .. بلا رحمة .

* * *



٨ ـ سباق مع الموت ..

كان الموقف يحتاج إلى تحرُّك سريع هذه المرّة ، بل فائق السرعة ؛ لذا فقد التفت (أدهم) إلى (موشى) ، وصاح في لهجة آمرة :

ـ حطِّمْ أجهزة المراقبة يا (موشى) .. لا تترك لهذا الوغد فرصة مراقبتنا ، ومعرفة تحرُّكاتنا .

أطلق (موشى) رصاصات مسدسه نحو الكابل الرئيسى ، الذى يتصل بكل شاشات المراقبة ، فانطفأت الشاشات دفعة واحدة ، في حين انحنى (أدهم) يلتقط مسدسين ، من مسدسات حرّاس (هنريك) الأربعة ، وألقى أحدهما إلى (منى) ، وهو يقول :

ـ خذى يا (منى) .. سيقاتل كل من يمكنه حمل سلاح .

انحنى (قدرى) يلتقط مسدسًا ثالثًا ، وهو يقول في صرامة :

ـ إذن فسنقاتل جميعًا .

صاح (أدهم) :

ـ هيَّا بنا إذن ..

واندفع الجميع خارج الحجرة ، في حين صاح (فون دريك) في جزع :

ـ لقد فقدنا ميزة المراقبة .

صاح (هنريك) في صرامة :

ـ ولكننا لم نفقد كل شيء بعد .. أراهنك أن رجالنا سيفتكون بهم قبل ساعة واحدة .

أمّا في الخارج فقد أشار (أدهم) إلى مصعد (هنريك) الخاص ، وهو يقول بلهجته الآمرة :

ـ اصعدوا إلى السطح .. ستجدون حرّاسه الثلاثة فاقدى الوعي ، وانطلق بالهليوكوبتر على الفور يا (موشى) ، وحاول أن تناورهم بعض الوقت ، حتى أنتهى من عملى .

قال (موشى) في برود :

ـ ولِمَ لا نعمل معًا ؟

أجابه (أدهم) في صرامة :

ـ لأن لدىَّ مهمّة محدودة ، لا تصلح إلّا لرجل واحد .. وأنا أعلم أين أذهب ، وماذا أفعل ، بحكم دراستى للمكان كله أمس .. ثم إنك الوحيد بعدى ، الذى يمكنه قيادة الهليوكوبتر ، والمناورة بها على النحو المطلوب .



أمّا في الخارج فقد أشار (أدهم) إلى مصعد (هنريك) الخاص ..

حدجه (موشى) بنظرة باردة ، ثم قفز إلى المصعد ، ولحق به (قدرى) ، الذى انحشر جسده كله فى المصعد ، فهتفت (منى) :

ــ اصعدا أنتما .. لن يتسع المكان لثلاثتنا ، وسأبقى هنا مع (أدهم) .

ظهر الضيق فى عينى (موشى) ، ولكن ملامحه ظلّت جامدة ، وهو يضغط زرّ المصعد ، ليرتفع به وبـ(قدرى) إلى السطح ، فى حين قال (أدهم) لـ(منى) فى هدوء :

ــ لماذا بقيت ؟

ابتسمت وهى تقول فى حزم :

ــ إننى أفضّل أن نلقى حتفنا معًا .

ارتفع صوت أقدام رجال أمن (هنريك) ، وهم يصعدون السّلم الجانبى الخاص ، فى طريقهم إلى الطابق الذى اتخذه لإقامته ، فقال (أدهم) وهو يربّت على كتفها :

ــ حسنًا .. فلنبدأ إذن .

واتجه الاثنان فى خطوات سريعة إلى مدخل السّلم الجانبى ، ولم يكد أول رجال أمن (هنريك) يظهر فى المنحنى الأخير حتى أطلقا رصاصات مسدّسيهما ..

وانهالت الرصاصات كالمطر ..

* * *

شهر (موشي) مسدسه ، وهو يغادر المصعد على السطح ، وتلفت حوله في حذر ، قبل أن يسرع نحو الهليوكوبتر ، وهو يشير إلى (قدري) أن يتبعه ، وتبعه (قدري) بمزيد من الحذر والتوتر .. ولكنه لم يكد يخطو بضع خطوات ، حتى ارتفع صوت صارم يقول :

ـ قفا أو نطلق النار .

تسمّر (قدري) في مكانه في ذعر ، أمّا (موشي) فقد دار على عقبيه في مرونة وسرعة ، والتقطت عيناه وجوه ستة رجال ، يصوّبون إليه مدافعهم الرشاشة ، فتحرّكت يده في سرعة مدهشة ، وأطلق رصاصة اخترقت رأس أولهم ، ثم قفز جانبًا ، وأطلق رصاصة غاصت بين عيني الثاني ، وانبطح أرضًا متفاديًا سيلًا من رصاصات أربعة مدافع رشاشة ، وأطلق رصاصتين سريعتين ، اخترقتا رأسي رجلين آخرين ، ثم قفز واقفًا ، وحطّم رأس الخامس برصاصة سريعة ، ثم انحنى وقتل السادس في سرعة ومهارة ، وعاد ليعتدل واقفًا ، وهو يشير إلى (قدري) ، قائلًا في برود :

ـ هيّا .. قبل أن يأتي المزيد منهم .

تطلّع إليه (قدري) في ذهول ، ولوّح بكفّه لحظة في صمت ، قبل أن يسرع نحو الهليوكوبتر ، وهو يهتف :

ـ يا إلهي !!.. لولا أنني واثق من أن (أدهم) ليس هنا ، لأقسمت أنك هو في هيئة أخرى .

تجاهل (موشي) هذا التعليق ، وهو يقفز إلى الهليوكوبتر ، ويدير محرّكها قائلًا في برود :

ـ اصعد .

جاهد (قدري) ليحشر جسده الضخم داخل الهليوكوبتر ، ولم يكد يفعل حتى ارتفع (موشي) بالهليوكوبتر في براعة ، وهو يغمغم في لهجة أقرب إلى الازدراء :

ـ هليوكوبتر من طراز (إكس ١٨) .. يا لك من حقير يا (هنريك إدوارد) !!

ثم دار بالهليوكوبتر ، عائدًا إلى مبنى الشركة ، فهتف به (قدري) في توتر :

ـ ماذا تفعل ؟.. ألم يأمرك (أدهم) بأن .....

قاطعه (موشي) في برود :

ـ (أدهم) هذا لا يملك الحق في إصدار أوامره إليّ ..

ولكن ما دمنا نعمل فى جانب واحد هذه المرة — للأسف — فسأعمل على معاونته بأسلوبى الخاص .

هتف (قدرى) فى قلق :

— وماذا تنوى أن تفعل ؟

أجابه (موشى) فى برود مقيت :

— سأخفف حمولة الهليوكوبتر .. سأطلق صاروخيها على مكتب صديقنا (هنريك) .

وفى برود ، ضغط زر إطلاق الصاروخين فى عصا القيادة ..

* * *

امتلأت نفس (منى) بالقلق ، بعد أن أدركت منذ اللحظة الأولى ، أن مسدسها ومسدس (أدهم) لن يكفيا لصد هذا السيل من رصاصات رجال (هنريك) ، التى تنهمر عليهما كالمطر ، وتراجعت وهى تطلق رصاصتها الأخيرة ، وهتفت فى توتر :

— لن نفلح يا (أدهم) .. لن نفلح أبدًا .

جذبها (أدهم) من معصمها ، وانطلق يعدو معها نحو مصعد (هنريك) الخاص ، وهو يقول فى صرامة :

— علينا أن نحاول يا (منى) .. علينا أن نحاول .

اندفـع رجـال (هنريك) خلفهم ، وأزدت رصـاصة (أدهم) الأخيرة أولهم قتيلًا ، ولكن المصعد لم يكن فى موضعه ..

وارتفعت فوهات المدافع الرشاشة نحو (أدهم) و (منى) ، ومن خلفها وقف الموت يطلق ضحكته الساخرة المخيفة ..

* * *



٩ — بؤرة النيران ..

همس (فون دريك) ، بعد أن انتهى من إصلاح الكابل ، الذى أصابه (موشى) برصاصاته :

— لقد أصلحته يا مستر (هنريك) .. يمكنك الآن أن تجدهم أينما كانوا .

غمغم (هنريك) فى حنق ، وهو يضىء شاشات المراقبة :

— إنهم فى الخارج أيها الغبىّ .. ألا تسمع صوت الطلقات .

ثم تطلّع إلى شاشاته ، وتألّق بريق الظفر فى عينيه ، حينما رأى رجاله يصوّبون مسدّساتهم إلى (أدهم) و (منى) ، وصاح عبْر مكبّرات الصوت فى انفعال واهتياج :

— أطلقوا النار ..

وفجأة .. أصاب صاروخا هليوكوبتر (موشى) جدار مكتبه ، ودوّى انفجارهما كالرعد فى أنحاء المكان ، وتهاوى الجدار تمامًا ، وارتجت الشركة كلها ..

وكانت فرصة العمر بالنسبة لـ (أدهم) و (منى) ..

ووسط الذهول الذى أصاب رجال (هنريك) ، اندفعت

قبضة (أدهم) إلى فك أقرب الرجال إليه ، فحطّمته فى صوت مسموع ، فى نفس اللحظة التى غاصت فيها قدم (منى) فى معدة آخر ، وانتزع (أدهم) مدفع الرجل ، ودفع (منى) بعيدًا عن مجال الرماية ، وأفرغ رصاصات المدفع فى أجساد رجال (هنريك) بلا تردُّد ..

وحصدت الرصاصات حشود الرجال ، الذين لم يجدوا الوقت للتغلّب على الذهول الذى اجتاحهم ، بعد أن كان النصر قاب قوسين أو أدنى منهم ، وسقطوا عند قدمى (أدهم) و (منى) مجندلين ، وهتفت (منى) فى انفعال :

— لقد نجونا .. لقد نجونا يا (أدهم) .

بدأ (أدهم) ينزع ثياب أقرب الحرّاس إلى حجمه ، وهو يقول فى صرامة :

— ليس بعد يا (منى) ، ما زال هناك العشرات من رجال (هنريك) .. إنه جيش ضخم .

هتفت وهى تنتزع ثياب حارس يقاربها حجمًا :

— لقد حدث الانفجار فى حجرة (هنريك) .. لا ريب أنه قد .....

صاح بها (أدهم) فى صرامة :


تأوه (هتريك) في ضعف ، وهو يحاول يائسًا رفع مكتبه ، الذي انقلب فوقه إثر الانفجار ..

ــ فلنذهب إلى الجحيم .. أسرعي .. إن فرصة النجاح تتضاعف كلما تحركنا على نحو أكثر سرعة .

بدأ كلاهما يرتدي ثياب الحراس ، وهي تسأله في اهتمام :

ــ إلى أين نتجه الآن ؟

أجابها في حزم :

ــ إلى بؤرة النيران .. إلى مخازن الذخيرة .

ثم أردف وهو يلتقط مدفعًا رشاشًا ، ويتأكد من حشوه جيدًا :

ــ ستشتعل النيران في اللوج (إلسحير) .

* * *

تأوه (هتريك) في ضعف ، وهو يحاول يائسًا رفع مكتبه ، الذي انقلب فوقه إثر الانفجار ، ولمح (فون دريك) وهو يضمد جراحه في سرعة ، فهتف به في ضراعة :

ــ (فون دريك) .. ساعدني يا صديقي .. إنني أحتضر .

التفت إليه (فون دريك) ، وهو يقول في بغض :

ــ إنك تستحق ذلك يا (هتريك) .

هتف (هتريك) في توسل :

— (فون دريك) .. انقذني أرجوك .. لقد أصابتني الشظايا في معدتي .. إن الآلام لا تطاق .

أجابه (فون دريك) في حنق :

— حاول أن تحتملها يا (هنريك) .. لقد أفسدت كل شيء بحماقاتك وغرورك الغبي .

صاح (هنريك) في صوت باكٍ متضرّع :

— دع انتقاداتك لما بعد يا (فون دريك) ، وساعدني الآن .. أرجوك .. الألم لا يطاق .

التقط (فون دريك) مسدسًا من مسدسات الحرّاس ، وصوّبه إلى (هنريك) ، وهو يقول في عصبيّة :

— سأساعدك على التخلّص من آلامك يا (هنريك) .. ولكنك لن تصبح إمبراطورًا للعالم أبدًا .. (فون دريك) وحده يستحق أن يحتل عرش مجد النازية القادم .

جحظت عينا (هنريك) في ذُعر ، ولوّح بكفّه ، وهو يصرخ :

— كلّا يا (فون دريك) .. كلّا .. الرحمة !!

ابتسم (فون دريك) ابتسامة شرسة ، وهو يقول في وحشية :

— ستحمل رصاصتي الرحمة لك يا (هنريك) .. هذا ما تستحقه .

صرخ (هنريك) في رُعب هائل ، ولكن رصاصة (فون دريك) أخرسته ..

أخرسته تمامًا ..

* * *

كان الاضطراب يسود المكان إلى أقصى حد ، بعد انفجار صاروخيّ (موشي) في مبنى الشركة ، حتى أن أحدًا لم ينتبه إلى (أدهم) و (منى) ، وهما يخترقان الصفوف ، نحو مخزن الذخيرة ، وهمست (منى) ، وهي تسرع الخطا إلى جوار (أدهم) :

— هل تظن أننا سننجح ؟

أجابها في حزم :

— علينا أن نحاول فحسب ، ولنترك النجاح والفشل للقدر وحده .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوّى صوت (فون دريك) ، عَبْر مكبّرات الصوت التي تملأ المكان ، وهو يقول في لهجة آمرة صارمة :

— فليسمعه الجميع .. لقد قتل الجواسيس زعيمنا (هنريك) ، وهناك اثنان منهما يرتديان ثياب الحرّاس ، ولا ريب أنهما يتجهان الآن إلى مكان ما داخل الشركة ، وأعتقد أنه مخزن الذخيرة .. تحققوا من الجميع ، وامنعوا أى مشتبه فيه من بلوغ مخزن الذخيرة ، ولنعمل جميعًا على الانتقام لزعيمنا الراحل .

ساد التوتر بين صفوف رجال الأمن إثر النداء ، والتفتت (منى) إلى (أدهم) فى قلق ، فشهر مدفعه الرشاش ، وأشار إلى مخزن الذخيرة ، الذى يقبع على بعد خطوات منهما ، وهو يقول فى صرامة .

— لن نتوقّف الآن يا (منى) ، بعد أن بلغنا هذه النقطة ، سنقاتل بوجوه عارية .

وانطلقت رصاصات مدفعيهما الرشاشين تعلن بدء قتال حوّل المكان إلى بؤرة نيران حقيقية ..

* * *

شعرت (منى) برصاصة تخترق كتفها اليسرى ، وشعر (أدهم) بأخريين تخترقان فخذه اليمنى ، وذراعه اليمنى ، إلّا أنهما لم يتوقفا عن إطلاق الرصاصات فى بسالة ، وهما يعدوان نحو مخزن الذخيرة ، فى سباق مع الموت ، حتى قفزت (منى)

إلى المخزن ، ولحق بها (أدهم) والدماء تنزف من جرح فخذه ، ودفعا باب المخزن الفولاذى بكل قوتهما ، ليغلقاه فى وجه رجال أمن (هنريك) ، ثم هتفت (منى) فى توتّر :

— لقد أصبحنا فى مأمن مؤقتًا ، ولكن كيف يمكننا الخروج من هنا ؟

أجابها فى صلابة :

— هذا لا يهمّ .

ثم أخذ يبحث داخل المخزن فى اهتمام ، حتى عثر على بعض القنابل الموقوتة ، فقال فى هدوء :

— يبدو أننا سنموت معًا كما تمنّيت يا (منى) .

سرت فى جسدها قُشَعريرة قوية ، قبل أن تسترد جأشها ، وتقول فى هدوء :

— هذا لا يهمّ كما تقول ، ما دمنا سنلقى حتفنا معًا .

منحها ابتسامة باهتة ، ثم انهمك فى إعداد وتشغيل القنابل الموقوتة ، وأخذت هى تعاونه فى اهتمام ، حتى انتهيا من إعداد كل شىء ، وثبّتا القنابل فى أركان المخزن ، ثم تطلّع (أدهم) إلى ساعته ، وقال فى هدوء :

— تسع دقائق فقط ، وتبدأ الألعاب النارية .

زفرت (منى) ، وشحب وجهها على الرغم منها ، وهى تغمغم :

— لم أكن أتصوّر أن تأتى النهاية على هذا النحو .

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وهو يقول فى هدوء :

— ولا أنا يا (منى) ، ولكن كم من البشر يمكنهم اختيار نهايتهم ؟

واقترب منها ليربّت على شعرها فى حنان ، مستطردًا :

— ومن حسن الحظ أننا سنموت معًا .. أليس كذلك ؟

تعلّقت بكفّه ، وشعر بارتجافها ، وهى تهمس :

— (أدهم) .. إننى أشعر بالخوف .

خفق قلبه لارتجافها ، وودّ لو استطاع أن يفديها بحياته كلها ، وبدا صوته مفعمًا بالحنان واللوعة والشفقة ، وهو يقول :

— يا عزيزتى (منى) .. لم أكن أعنى أبدًا أن .....

وبتر عبارته فجأة ؛ ليهتف فى صوت أحيا الأمل فى قلبها :

— يا إلهى !!

ازداد ارتجافها ، وهى تسأله فى لهفة :

— ماذا هناك ؟.. ماذا وجدت ؟

اندفع فجأة نحو شبكة كبيرة فى ركن المخزن ، وانتزعها فى قوة ، وهو يهتف فى سعادة :

— إننا نملك وسيلة النجاة منذ البداية يا عزيزتى .. ولكن هؤلاء الأوغاد كانوا يخفونها هنا .

تهلّلت أساريرها ، وهى تهتف فى فرح عارم :

— يا إلهى !!.. دبّابة !!

قفز ليعتلى جنزير الدبّابة ، وهو يهتف :

— هيّا يا عزيزتى .. لم تعد أمامنا سوى سبع دقائق فقط .

عادت إليها حيويّتها ، وهى تقفز خلفه إلى الدبابة ، وتتبعه إلى داخلها ، وأطلق هو ضحكة ساخرة مرحة ، وهو يقول :

— لدينا هنا ذخيرة تقدّر بثلاث قنابل يا عزيزتى ، وخزان ممتلئ بالوقود .

ثم التفت إليها مستطردًا بمزيد من المرح :

— أعتقد أن احتمال نجاتنا قد ارتفع إلى ما يقرب من العشرة فى المائة يا (منى) .

وأدار محرّك الدبابة ، وانطلق بها ليقتحم باب المخزن .

* * *

كان (موشى) يحوم حول مبنى الشركة بالهليوكوبتر ،

حينما برزت من خلف المبنى فجأة ثلاث طائرات هليوكوبتر من طراز (إكس ١٨) ، فغمغم فى برود :

— استعد أيها البدين .. سيبدأ القتال الحقيقى الآن .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى انحرف بالهليوكوبتر فى زاوية حادة ، متفاديًا الصواريخ الثلاثة ، التى أطلقتها عليه طائرات الهليوكوبتر المطاردة ، ثم هبط فجأة إلى مسافة قريبة إلى الأرض ، وهو يقول بنفس البرود :

— من المؤسف أننا قد فقدنا صواريخنا أيها البدين ، ولم نعد نملك سوى مدفعين رشاشين فقط .

غمغم (قدرى) ، وهو يرتجف فى خوف وتوتر :

— لو أن (أدهم) هو الذى يقود هذه الهليوكوبتر ما .....

قاطعه (موشى) فى برود :

— انتظر أيها البدين .. إننى لم أتم حديثى بعد .

وعاد يرتفع بالهليوكوبتر فجأة ، ويضغط زرّ الإطلاق فى عصا القيادة ، فانطلقت رصاصات مدفعيه الرشاشين ليصيب إحدى الهليوكوبترات المطاردة ، ثم ينحرف متجاهلاً سقوطها ، ويطلق رصاصاته على مؤخرة الأخرى ..

ولكن فجأة .. أصاب الصاروخ الذى أطلقته الثالثة ذيل طائرته ، وحطّمه فى قوّة ، فدارت الهليوكوبتر حول نفسها فى عنف ، وهتف (قدرى) فى ذُعْر :

— لقد انتهينا .. سنلقى حتفنا ..

ولكن (موشى) تحكّم فى الهليوكوبتر ذات الذيل المحطّم فى براعة ، حتى اقترب بها من ثلوج الأرض ، وصاح فى (قدرى) :

— اقفز أيها البدين .

هتف (قدرى) فى ذُعْر :

— مستحيل !! لن يمكننى ذلك أبدًا ..

دفعه (موشى) بقدمه فى قوّة ، وهو يهتف :

— اقفز .

وسقط (قدرى) بجسده البدين من ارتفاع ثلاثة أمتار ، وارتطم بالثلوج ، فتأوّه فى ألم ، وبدا له أن عظام جسده كلها قد تهشّمت ، ورأى (موشى) يقفز من الهليوكوبتر ، التى استمرّت فى دورانها حول نفسها حتى ارتطمت بالثلوج ، ودوّى انفجارها قويًا عنيفًا ، ثم اشتعلت فيها النيران .

وعلى ضوء النيران المتراقصة ، رأى (قدرى) الهليوكوبتر

الأخيرة ، التي أسقطتهما ، وهي تندفع نحوه ، نحو (موشى) ، وأيقن هذه المرة أن نهايته ستكون وسط ثلوج (السمير) .. وأنها ستأتي بعد لحظة واحدة ، فأغلق عينيه في قوة ، وانتظر الموت ..

* * *



١٠ — مطاردة وسط الثلوج ..

كانت مفاجأة مذهلة لرجال الأمن ، حينما اقتحم (أدهم) باب مخزن الذخيرة بالدبابة ، وأخذ بعضهم يطلقون رصاصاتهم على دروعها المصفحة بلا جدوى ، في حين أطلق هو من داخلها ضحكة ساخرة ، وهو يقول لـ (منى) :

— من حسن حظنا يا عزيزتي أن مخزن الذخيرة يقع في الطابق الأرضي ، وإلا كان علينا هبوط سلم الشركة بالدبابة ..

ضحكت في مرح ، وهي تقول :

— دعنا نغادر هذا المكان ، لقد أصبحت أشعر بالسأم والاشمئزاز منه .

أحنى رأسه وهو يقول ضاحكًا :

— كما تأمرين يا أميرتي الجميلة .

ثم اقتحم باب الشركة الرئيسي ، وانطلق يشق طريقه وسط الثلوج ، في نفس اللحظة التي وصل فيها (فون دريك) إلى الطابق الأرضي ، وصاح في غضب :

— كيف سمحتم له بالهروب أيها الأغبياء ؟

هتف قائد رجال الأمن في توتر :

— لقد استولى على دبابة الحراسة .

صاح (فون دريك) في غضب :

— لدينا ثلاث أخرى في المخزن المجاور .. سأقود إحداها ، ولتتبعني الأخريان .. لا ينبغي أن نسمح له بالفرار أبدًا ، ولتعمل ثلاث طائرات (إكس ١٨) على تغطيتنا .. هيا .

لم تمض ثلاث دقائق ، حتى خرجت الدبابات الثلاث ، وطائرات الهليوكوبتر المصاحبة لها ، لتبدأ المطاردة المثيرة وسط الثلوج ..

* * *

تطلعت (منى) إلى ساعتها ، وهي تقول في اهتمام :

— بقيت دقيقة واحدة يا (أدهم) :

فوجئت به يهتف في قلق :

— يا إلهي !!..

ثم يقفز إلى إحدى قنابله الثلاث ، ويضعها في ماسورة الدبابة ، فسألته في توتر :

— ماذا هناك ؟

أجابها في قلق واضح :

— هناك هليوكوبتر تهوى أمامنا .. وأظنها التي كانت تحمل (موشى) و (قدرى) .

هتفت في دهشة :

— وفيمَ تحتاج إلى القنبلة ؟

أخذ يصوِّب مدفع الدبابة في سرعة ومهارة ، وهو يقول :

— هناك هليوكوبتر أخرى تطاردها يا (منى) .

فهمت ما يعنيه تمامًا ، حينما رأت عبر فتحة صغيرة في مقدمة الدبابة (قدرى) ، وهو يسقط من الهليوكوبتر ذات الذيل المحطَّم ، ورأت (موشى) يتبعه ، والهليوكوبتر تنفجر وسط الثلوج ، ورأت الهليوكوبتر الأخرى تنقضّ عليهما ، فصاحت في ذعر :

— الآن يا (أدهم) .. الآن ..

وأطلق (أدهم) قذيفة الدبابة ..

ودوّى انفجار هائل ، ارتجت له جزيرة (إلسمير) من أقصاها إلى أقصاها ..

لقد انفجرت الهليوكوبتر ، التي أصابتها قذيفة (أدهم) ، في نفس اللحظة التي انفجر فيها مخزن الذخيرة ، وتحوّل إلى شعلة من النيران ، وانهار مبنى الشركة كله ..

نيران هائلة أضاءت الجزيرة كأنما الشمس قد أشرقت فجأة ، وانفجار هائل رددت السماء صداه ، حتى بلغ جزيرة (يافن) القريبة ..

واتسعت عينا (قدرى) فى ذهول ، وارتسمت الدهشة لأول مرة على وجه (موشى) ، الذى غمغم فى ذهول :

ـ يا للشيطان !!.. لقد فعلها رجل المخابرات المصرى .. لقد فعلها (أدهم صبرى) ..

أطلق (قدرى) صيحة فرح قوية ، وهو يهتف فى سعادة جمّة :

ـ نعم يا رجل (الموساد) .. لقد فعلها رجلنا .. لقد فعلها (رجل المستحيل) .

ثم تصلّبت عيناه فى محجريهما ، وأشار بأصابع مرتجفة إلى الدبابة ، التى بدت وهى تقترب كشبح يعبر النيران ، وصوّب (موشى) مسدسه نحو الدبابة ، ثم لم يلبث أن أدرك عدم جدوى ذلك ، فخفض مسدسه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أظنها النهاية .

ولكن فتحة الدبابة العلوية تحرّكت فجأة ، فعاد يصوّب

مسدسه إليها ، ولكنه لم يكد يلمح وجه الرجل الذى برز منها ، حتى غمغم فى لهجة أقرب إلى الحسد :

ـ يا للشيطان !! لقد فعلها حقًّا :

أمّا (قدرى) فقد تهلّلت أساريره مرّة أخرى ، وهو يهتف فى سعادة :

ـ إنه (أدهم) .. كان ينبغى أن أعلم أنه هو .

انحنى (أدهم) على نحو مسرحى ، وهو يقول فى مرح :

ـ مرحبًا بكما فى دبابتنا المتواضعة .. صحيح أن المكان سيضيق بنا ، بوجود فيل صغير مثل صديقنا (قدرى) ، ولكنه سيكفينا .. ثم إن دبابتنا المتواضعة مكيّفة الهواء ، وهى ميزة لا يستهان بها فى مثل هذا الطقس .. أليس كذلك ؟

أطلق (قدرى) ضحكته المرحة المجلجلة ، وهو يسرع نحو الدبابة ، وأدهش الجميع بتلك الرشاقة ، التى لا تتناسب مع حجمه مطلقًا ، وهو يعتلى جنزيرها الضخم ، ويصعد إلى سطحها هاتفًا :

ـ من المؤسف أنها لا تحوى مطعمًا صغيرًا ، فأنا أتضور جوعًا أيها السادة .

ثم أشار إلى فتحة الدبابة ، وهو يستدرك فى قلق :

ـ هل تظن أنها ستتسع لى ؟



حشر (قدرى) جسده الضخم فى فتحة الدبابة ،
وحاول (أدهم) معاونته ..

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ــ حاول ياصديقى ، وأعدك بأن أدفعك بكل ما أملك من قوة .

حشر (قدرى) جسده الضخم فى فتحة الدبابة ، وحاول (أدهم) معاونته ، إلى حين أطلقت (منى) ضحكة مرحة ، وهى تقول من داخل الدبابة :

ــ كان ينبغى أن نحضر قطارًا من الصابون ، ليعاونك على الانزلاق إلى الداخل ياعزيزى (قدرى) .

وأطلق (أدهم) ضحكة عابثة ، ولكن ضحكته لم تلبث أن احتبست فى حلقه ، حينما سمع من خلفه صوت إبرة مسدس من طراز (موريس) ، وهى تتحرك استعدادًا لإطلاق النار .

وصوت (مورتى) البارد ، وهو يقول :

ــ لقد تخلصنا من إمبراطور العالم المجنون ، ومن منظمته كلها يامستر (أدهم) ، وهذا يعنى أن مهمتك قد انتهت بنجاح ، وحان الوقت لأتم مهمتى أنا .. وداعًا يامستر (أدهم) .. سيؤسفنى قتلك كثيرًا .

* * *

١١ — لم تَخْبُ النيران بعد ..

كانت سبابة (موشى) تستعد لاعتصار زناد مدفعه بلا تردد . وكان (أدهم) يعلم أن خصمه لم يخطئ الهدف مرة واحدة في حياته كلها . ولم يكن هناك احتمال ولو واحد في المليون لنجاته من الموت هذه المرة ..

ولكن فجأة حدثت معجزة عجيبة ..

انفجرت قذيفة دبابة على بعد ثلاثة أمتار من دبابة (أدهم) ، وارتفع هدير طائرات الهليوكوبتر الثلاث في نفس الوقت . وأدرك الجميع في جزء من الثانية أن فلول جيش (هربك) مازالت تسعى خلفهم . فصاح (أدهم) في صرامة :

— ليس الآن يا (موشى) .. إن المهمة لم تنته بعد .

وفي حركة سريعة ، ليس هناك ما يبررها سوى الخوف الشديد ، انزلق جسد (قدرى) داخل الدبابة ، وقفز خلفه (أدهم) ، ولحق به (موشى) ، الذى هتف في برود :

— رائع .. أليس لديك سوى قبلتين فقط ؟

أدار (أدهم) محرك الدبابة ، وهو يقول في هدوء مثير للدهشة :

— ومدفعين رشاشين أيضا يا رجل (الموساد) ، لا تنس ذلك .

غمغم (موشى) في برود ساخر :

— ورجل بدين يملأ كابينة القيادة .. يالها من ظروف مواتية !!

احتقن وجه (قدرى) حرجا ، وقالت (منى) ، وهى تراقب الموقف من فتحة الدبابة الخلفية .

— إنها ثلاث دبابات ، وثلاث طائرات هليوكوبتر .

انفجرت إثر عبارتها قنبلتان ، كادت إحداهما تصيب دبابتهم ، فقال (أدهم) في اهتمام ، وهو يدير مدفع دبابته إلى الخلف :

— هل يمكنك تحديد موقع أي من الدبابات الثلاث ؟

أجابته في توتر :

— نعم .. سبع وعشرون درجة إلى اليسار .

وجه (أدهم) مدفع الدبابة نحو الهدف ، وقال لـ(موشى) في هدوء :

— ضع القذيفة الأولى في مدفع الدبابة .

غمغم (موشى) في برود :

— أظن أنه يمكنني القيام بعمل أفضل .

ثم دفع فتحة الدبابة ، والتقط مدفعًا رشاشًا ، وقفز إلى الخارج ، فغمغم (قدرى) في توتر :

— ماذا يظن أنه سيفعل ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— سيحاول إسقاط طائرات الهليوكوبتر الثلاث .. ضع أنت القذيفة في المدفع .

أسرع (قدرى) يلقم المدفع قذيفته ، وأطلقها (أدهم) في هدوء ، وسمع الجميع صوت انفجارها في قلب الدبابة المطاردة ، وهتفت (منى) في حماس :

— إصابة مباشرة .

وفي نفس اللحظة انقضت طائرات الهليوكوبتر الثلاث على دبابة (أدهم) ورفاقه ، واستعد قادتها لإطلاق صواريخهم ، في حين هتف (فون دريك) من داخل إحدى الدبابتين الباقيتين :

— فليطلق الجميع قذائفهم في آن واحد .. إن هذا يخفض احتمال الخطأ إلى واحد في الألف .

ولكن قذيفة (أدهم) الأخيرة أصابت الدبابة الأخرى في نفس اللحظة ، ونسفتها نسفًا ، وبدأ (موشى) يطلق رصاصات مدفعه الرشاش على طائرات الهليوكوبتر الثلاث ..

ومرة أخرى عُدنا إلى احتمال الواحد في المليون ..

* * *

من العدل أن نعترف بأن (موشى) ، على الرغم من انتمائه إلى (الموساد) ، مقاتل صنديد ، لا يُشق له غبار ، فقد نجح بمدفعه الرشاش وحده في إسقاط طائرة هليوكوبتر ، في حين أطلقت الأخريان صاروخيهما ، اللذين انفجرا على قيد متر واحد من الدبابة ، التي ارتجت في قوة ، والتقط (أدهم) المدفع الرشاش ، وهمّ بالصعود إلى خارج الدبابة ، فتعلقت به (منى) ، وهي تقول في توتر :

— إلى أين يا (أدهم) ؟

أجابها في حزم :

— فرصتنا الوحيدة في النجاة هي احتلال الدبابة الباقية يا (منى) ، وإلا فالموت نصيبنا بلا ريب .

هتفت في توتر :

— هل نسيت أنك مصاب برصاصة في فخذك ، وأخرى في ذراعك ؟ .. وأن ضماداتك تحمل الكثير من الدماء ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— إنني أحاول أن أنسى يا (منى) ، وعليك أن تحاولي ذلك أيضًا .

ودفع جسده خارج الدبّابة ، فى نفس اللحظة التى انهالت فيها عليها رصاصات طائرات الهليوكوبتر ، فتفاداها فى صعوبة ، وسمع (موشى) يقول ببروده التقليدىّ :

— إلى أين ؟

أجابه فى صرامة :

— واصل عملك ، وحاول أن تتجاهل وضعى أنا .

ثم قفز وسط الثلوج ، وشعر بآلام مبرّحة فى فخذه المصابة ، ولكنه احتمل فى بسالة ، وانطلق يعدو متخفيًا بالثلوج ، ومحتملًا الآمه الشديدة ، نحو الدبّابة الأخيرة ، فى حين عاد (موشى) يطلق رصاصاته نحو طائرتى الهليوكوبتر ، اللتين أدرك قائداهما خطورة خصمهما وقوته ، فعمدا إلى مناورته ، قبل أن يطلقا صاروخيهما الأخيرين على الدبّابة ..

وداخل الدبّابة الأخيرة ، قال (فون دريك) للرجلين المرافقين له فى صرامة :

— أحسنا التصويب هذه المرّة .. أريد منكما أن تصيبا الدبّابة بطلقة واحدة .

خفض أحد الرجلين فُوّهة مدفع الدبّابة ، وقال فى اهتمام ، وهو يستعد لإطلاق قذيفته :

— الهدف ثابت هذه المرّة يا مستر (فون دريك) ، ونحن نتحرّك نحوه فى خطّ مستقيم ، ولن نخطئ الإصابة أبدًا .

وفجأة .. فتح (أدهم) باب الدبّابة العلوىّ ، وصوّب إلى الجميع مدفعه الرشاش ، وهو يقول فى سخرية :

— أظنك مخطئًا أيها الوغد ، فأنا هنا بالذات لأمنعك من ذلك .

تحرّكت يد أحد رجلى (فون دريك) فى سرعة نحو مسدسه ، ولكن رصاصات مدفع (أدهم) حطّمت كفّه ، فتأوّه فى ألم ، وصاح (فون دريك) فى رُعب :

— لا تطلق النار يا مستر (أدهم) .. إننى أستسلم .. لا تطلق النار .

صاح (أدهم) فى صرامة :

— الجميع خارج الدبّابة .. هيّا .. إننى لن أنتظر لأكثر من عشر ثوانٍ .

قفز (فون دريك) ورجلاه خارج الدبّابة فى سرعة ، وقال (فون دريك) فى ضراعة :

— مستر (أدهم) .. إنك لن تتركنا وسط الثلوج .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـــ ابتعد أيها الوغد ، وإلا أطلقت النار عليك .

جثا (فون دريك) على ركبتيه ، وهو يقول فى توسّل ، ودموعه تكاد تتجمّد فى مقلتيه :

ـــ أرجوك يامستر (أدهم) .. أرجوك .

ثم أخرج من جيب سترته الجلدية أسطوانة رقيقة ، لوّح بها هاتفًا بمزيد من الضراعة :

ـــ سأدفع ثمن ذلك .. هل ترى هذه الأسطوانة .. إنها تضم أسماء كل جواسيسنا فى جميع أنحاء العالم .. كل ما عليك هو أن تضعها فى جهاز كمبيوتر ، من طراز (آى.بى.إم) ، وتلقنه الكود السرّى (م ــ ن ــ ٦٠٧) ، وستجد أمامك كل الأسماء والعناوين .. خذها يامستر (أدهم) ، ولاتتركنى هنا .. أرجوك .

التقط (أدهم) أسطوانة الكمبيوتر فى حركة سريعة ، ودسّها فى جيبه ، وهو يختلس النظر إلى طائرتى الهليوكوبتر ، اللتين تمطران الدبابة برصاصاتهما ، وقال فى قلق :

ـــ ابتعد مع رجليك الآن يا (فون دريك) . وأعدك أن أعود لالتقاطك .

تراجع (فون دريك) ، وهو يغمغم فى رعب :

ـــ حسنًا .. حسنًا يامستر (أدهم) .. سأبتعد .. إنك رجل لايحنث بوعوده أبدًا . لقد أخبرنا الكمبيوتر ذلك .

قفز (أدهم) داخل الدبابة ، ودفع إحدى قذائفها داخل مدفعها ، وصوّب المدفع فى سرعة وتوتّر نحو إحدى الطائرتين ، وهو يغمغم :

ـــ احتمال النجاة يرتفع يا (أدهم) .. احرص على ألا تخفضه مرّة أخرى .. احرص بشدة يا (أدهم) .

فى نفس اللحظة التى غمغم فيها بهذه العبارة ، خاطب أحد قائدى الهليوكوبتر رفيقه ، عبر جهاز اللاسلكى ، قائلاً :

ـــ المناورة لن تجدى ياصديقى .. إنه يراوغ رصاصاتنا فى براعة مدهشة .. أطلق صاروخك الأخير ، ولنعمل على أن يصيب صاروخانا هدفيهما هذه المرّة ، و.....

قبل أن يتم عبارته ، انفجرت قذيفة (أدهم) فى طائرته ، ونسفتها بدوىّ هائل . فصرخ رفيقه فى غضب جنونى :

ـــ يا للشيطان !!.. سأطلق صاروخى على دبابة هؤلاء الأوغاد ، حتى ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

وضغط زرّ الإطلاق فى عصا قيادته فى عزم وإصرار وغضب ..

* * *

١٢ ـ النصر ..

أصاب صاروخ الهليوكوبتر جنزير الدبّابة ، فارتجّت في قوة ، وتطايرت أجزاء جنزيرها لمسافة طويلة ، وسقط (موشي) من فوقها ، وقد أصابت إحدى الشظايا كتفه ، ولولا دروع الدبّابة القويّة ، ولولا أن (موشي) كان يقف في الجانب المقابل للإصابة ، لتحوّل هو والدبّابة إلى أشلاء متناثرة .

ورآه قائد الهليوكوبتر وهو يسقط من فوق الدبّابة ، وبكل الغضب الذي ولّده في نفسه فشله في نسف الدبّابة ، انطلق نحوه ؛ ليمطره برصاصاته . ورآه (موشي) ينقضّ عليه ، فرفع فوّهة مدفعه الرشاش نحوه في غباء ، وأطلق رصاصاته ..

ولكن الهليوكوبتر انفجرت فجأة في الهواء ، قبل أن تطلق رصاصة واحدة ، بعد أن أصابتها طلقة (أدهم) الثانية ، وأخفى (موشي) وجهه بذراعيه ، ليقيه الشظايا المتناثرة ، وارتج المكان مع سقوط الهليوكوبتر واشتعالها ، ثم نهض وسط الثلوج في هدوء ، وقد أدرك أن المهمّة قد انتهت هذه المرّة ..

انتهت بالنصر ..

ولكنه كان يعلم أيضًا أن مهمّته الأساسيّة لم تتمّ بعد ، ولن تنتهي إلا بمصرع (أدهم صبري) ؛ لذا فقد فحص خزانة مدفعه الرشاش ، وتأكّد من وجود بعض الرصاصات بها ، ووقف متجاهلًا البرودة القارصة ، ينتظر عودة خصمه ، حتى يحقّق نصره الخاصّ ..

نصره بقتل (أدهم صبري) ..

* * *

شعر (أدهم) بارتياح يغمر أعماقه ، بعد أن حطّم الهليوكوبتر الأخيرة ، فاسترخى في مقعد قيادة الدبّابة ، وتنهّد في ارتياح ، ثم أدار محرّكات الدبّابة واتجه نحو دبّابة رفاقه ..

وفجأة .. فُتح باب الدبّابة العلوي ، وأطلّ منه وجه (فون دريك) ، وفوّهة مسدّسه ، وهو يقول في غضب :

ـ لقد حنثت بوعدك هذه المرّة يا مستر (أدهم) ، وستدفع ثمن ذلك .

وقبل أن يضغط (فون دريك) زناد مسدّسه ، تحرّكت يد (أدهم) في سرعة مذهلة ، والتقط مدفعه الرشاش ، وأطلق رصاصاته على رأس (فون دريك) ، الذي جحظت عيناه في ذعر وألم وذهول ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، ويعلن نهاية الأحلام الجنونية لاحتلال العالم ..

وزفر (أدهم) فى ضيق ، وهو يغمغم :

ــ يا لتعاستك يا (أدهم) !!.. لقد أرقت من الدماء هذه المرّة ما يفوق ما أرقته فى حياتك كلها ، وحتى فى أحلامك .

وعاد يزفر فى حزن ، وهو يستطرد فى مرارة :

ــ ولكن لم يكن أمامك سوى ذلك ــ للأسف ــ فالكل كان يسعى لقتلك ، و .....

وبتر عبارته فجأة ، وهو يكرّر فى خفوت :

ــ نعم .. الكل يسعى لقتلك .

وأوقف محرّكات الدبّابة ، وتحسّس مدفعه الرشاش ، وهو يكرّر للمرة الثانية :

ــ نعم .. الكل ..

* * *

شعرت (منى) بهدوء الموقف فى الخارج ، فقالت لـ(قدرى) فى انفعال :

ــ يبدو أننا قد انتصرنا يا (قدرى) .

ابتسم (قدرى) فى ارتياح ، وهو يقول فى هدوء :

ــ نعم .. يبدو ذلك ، على الرغم من أن القنبلة التى أصابت جانب الدبّابة جعلتنى أرتطم بكل جزء فيها ، وجعلت قلبى يهبط بين قدمىّ من شدّة الرُّعب .

ضحكت فى مرح ، وهى تقول :

ــ ولكننا على قيد الحياة ، وهذا هو المهم يا (قدرى) .

ثم أسرعت تفتح الدبّابة ، وهى تستطرد فى خفة وقلق :

ــ ولكن لماذا لم يعُد (أدهم) ؟ و .....

بترت عبارتها فجأة ، حينما فوجئت بـ(موشى) يصوّب إليها مدفعه الرشّاش ، وهو يقول فى برود صارم :

ــ عودِى إلى الدبّابة .

سألته فى دهشة :

ــ ماذا حدث يا (موشى) ؟

عاد يقول بصرامته الباردة :

ــ عُودِى إلى الدبّابة .

أدركت فجأة تلك الحقيقة ، التى غابت عن ذهنها مع تعاون (موشى) المخلص معهم طوال الوقت ..

أدركت أن (موشى) خصم وعدوّ ، حتى ولو كان أشجع وأقوى رجل فى العالَم ..

أدركت أنه رجل لن يتردّد فى قتلها إذا ما تقاعست فى تنفيذ الأمر ، إلا أنها ــ وعلى الرغم من هذا ــ هتفت فى سخط :

ــ أطلق النار لو أردت يا (موشى) ، ولكننى لن أطيع رجلًا من (الموساد) .



بترت عبارتها فجأة ، حينما فوجئت بـ(موشى) يصوّب إليها مدفعه الرشّاش ..

بدا صوته أشدّ صرامة وبرودًا ، وهو يقول :

ــ عُودى إلى الدبابة أيتها المصرية .. إننى أكره إطلاق النار على النساء ، ومهمتى هى القضاء على (أدهم صبرى) وحده .

وفجأة .. ارتفع صوت هادئ ساخر من خلفه ، يقول :

ــ رائع يا عزيزى (موشى) .. إنك تتمتع بأخلاق الفرسان ، وهذا يتعارض مع بنى جنسك .

أراد (موشى) أن يستدير بحركة سريعة ، ويطلق النار على (أدهم) ، لولا أن استطرد هـذا الأخـير بنفس الهـدوء والسخرية :

ــ حذار يا عزيزى (موشى) .. إن فُوّهة مدفعى الرشاش مصوّبة إلى رأسك ، ولا يمكنك أن تنكر سرعتى فى إصابة الهدف .

ظلّ وجه (موشى) جامدًا لحظات ، وبدا لـ(منى) أشدّ برودة من الثلوج التى تحيط بالمكان ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى برود :

ــ حسنًا يا مستر (أدهم) .. لقد انتصرت أنت هذه المرّة .

ثم ألقى مدفعه الرشاش فى هدوء . فقال (أدهم) :

ــ أوثقى معصميه يا عزيزتى (منى) .

قفزت (منى) من الدبّابة ، وأسرعت توثق معصمى (موشى) فى إحكام ، وهو مستسلم فى هدوء عجيب ، ثم برز (أدهم) من وسط الثلوج ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هيّا يا عزيزى (موشى) .. سنعود إلى الدبّابة .

سأله (موشى) فى برود :

ــ ماذا ستفعل بى ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى بساطة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لا شىء يا عزيزى (موشى) .. إنك رجل رائع ، على الرغم من أننا عدوّان ، وأنا أكره أن أوذِىَ رجلًا مثلك .

لاحت ابتسامة باردة على شفتى (موشى) ، وهو يهبط داخل الدبّابة ، واستقرّ داخلها فى هدوء ، وهو يقول :

ــ هذه نقطة أخرى نختلف فيها يا مستر (أدهم) ، فلو أننى فى موقعك ما ترددت فى قتلك .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ ربّما يا (موشى) ، ولكننى لن أفعل هذا .

ران الصمت بعض الوقت ، ثم غمغم (موشى) فى هدوء :

ــ ألم يكن من الأفضل أن نذهب إلى الدبّابة الأخرى ؟ حتى يمكننا السّير بها على الأقل .. إن جنزير هذه الدبّابة محطّم .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ــ ليس هناك فارق يا (موشى) .. فالدبّابة لن توصلنا إلى خارج الجزيرة .. إننا سنبقى هنا لننتظر فرق الأمن والإنقاذ ، التى ستصل مع أوّل خيوط الصباح ، فلا ريب أن ذلك الانفجار الرّهيب قد بلغ (بافن) على الأقل ، وأنهم يتساءلون منذ حدوثه عن سرّ اشتعال ثلوج (إلسمير) .

لاحت نفس الابتسامة الباردة على شفتى (موشى) ، وهو يقول :

ــ لو أننا نعمل فى جانب واحد ، لاعتبرتك مثلًا أعلى يا مستر (أدهم) ، ولكنك كنت سبب أوّل فشل فى حياتى المهنية ، ولن يمكننى أن أغفر لك ذلك أبدًا ، وسنلتقى مرّة أخرى يا مستر (أدهم) ، ولن يكون النصر من نصيبك حينئذ .

ابتسم (أدهم) ، ولم يعلّق على عبارة (موشى) ، فى حين قال (قدرى) فى حنق :

ــ ألم يفكّر أحدكم فى مشكلتى الخاصة ؟

التفت إليه الجميع في دهشة ، وسألته (منى) في حيرة :
ـ أية مشكلة ؟
لوّح بذراعه في غضب ، وهو يهتف :
ـ كيف سأغادر علبة السردين هذه ؟
تطلّع الثلاثة إلى وجهه في دهشة ، ثم أطلق (أدهم) و (منى) ضحكتين عاليتين ، واكتفى (موشى) بابتسامته الباردة ، وهو يتساءل عن سرّ تلك الصداقة القوية ، التي تعلن عن وجودها في عيون وقلوب هؤلاء الثلاثة ..
وعلى الرغم منه ، اعترف منطقه بالسبب الحقيقيّ !.
إنهم هكذا لأنهم رجال مخابرات ..
ولأنهم من (مصر) ..
وهذا هو الأهمّ ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩